

قصصات سرية اعترافات نسائية جريئة الرجال يمتنعون

للكاتبة سناء جعفر

جميع : فيتامين سي

شبكة روايتي الثقافية

المقدمة

في داخل كل منا تكمن نزعة غريبة للتلصص على الآخرين واختلاس النظر من وراء شقوق الأبواب المغلقة ... واستراق السمع خلف الفواصل الهشة .. هناك لذة غامضة يستشعرها المتلصص عندما يرى ما لا يراه غيره أو يتعمد التنصت على حديث لا يرغب أصحابه في نشره خارج نطاق الموجودين . أدرك بان البعض منكم قد مطّ شفتيه استهجاناً وهو يقرأ كلماتي الصريحة عن فعل يمارسه معظمنا بطريقة مستترة .. وبعضنا الآخر بكل جرأة ... إذن يا قرائي الأعزاء سأطرح عليكم سؤالاً يحتاج لإجابة صادقة .. قولوها لانفسكم وليس لي .. فأنا قد تخطيت مرحلة الخوف من الاعتراف بعيوبي منذ زمن طويل .. سؤالي لكم ... هل أتنكم فرصة لاستراق النظر أو اختلاس السمع وتهيات لكم كل الظروف لممارسة هذه العادة المتأصلة داخل النفس البشرية وترفعتم عنها ؟؟ هل أغمضتم أعينكم عن مشهد يستحق المشاهدة ولكن ليس لكم حق مشاهدته ؟؟ هل صمتم آذانكم عن حديث حار وهامس يدور بسرية بين اثنين شاعت

الظروف أن تكون أنت ثالثهما الذي لا يعلمان بوجوده؟؟
لو تحرى الجميع الصدق في الإجابة يعتريني الشك أنها قد تكون
بنعم .. هل تدرون لماذا؟؟ لأننا بشر .. والفضول جزء من
تركيبتنا التي تدفعنا بصورة لا إرادية للتلصص..
أنا اعترف بفضولي الزائد لمعرفة خبايا الآخرين وقد شاعت
الظروف أن تضعني في مكان وزمان استطعت فيهما أن استرق
النظر وتبحر حواسي في دفاتر يوميات نساء مختلفات لا يجمع
بينهم سوى شغفهن الغريب لتدوين أحداث مرت بهن بكل صدق
وتجرد لأنهن كتبنها لأنفسهن ولم يحسبن حساب الأعين
المتلصصة ... لقد قرأت قصاصات غاية في السرية لعشر نساء لا
تجمع بينهن صلة غير نون النسوة ... وبما أنني أدرك فضولكم
ولهفتكم لمعرفة الأسرار التي تم تدوينها في لحظة فرح أو يأس
.. حزن أو أمل .. قررت أن اقتسم معكم إثم التغلغل داخل حرمتها
... هذه القصاصات التي كتب بعضها بالدموع ... وبعضها بالدم.
عفواً لقد قمت بتغيير الأسماء والأماكن حفاظاً على خصوصية
أصحابها ... وإذا تشابهت الظروف والأحداث مع امرأة تعرفونها
.. سيكون الأمر مجرد صدفة بحتة.

وتابعوني...

قصاصة من دفتر يوميات عانس

الاثنين الأول من أبريل .. الساعة السابعة صباحاً...

يا له من تاريخ ارتبط في أذهان الناس بالكذب المشروع ... اكره
هذا اليوم ابغضه أتمنى لو كان بإمكانني أن أتحكم بالزمن فاعيد
XXXXX الساعة إلى الوراء واشطبه من التقويم .. أن امحي
ذكره من الوجود وامحي وجودي ايضاً ... اليوم يصادف ذكرى
ميلادي السادس والأربعين هل توافق تاريخ ميلادي مع هذا
اليوم دلالة على أن حياتي بأكملها كذبة؟؟ ربما كانت كذلك .. في
كل سنة أكرر نفس السؤال .. لماذا ولدت؟؟ ولأي هدف أعيش؟؟
ما معنى حياتي؟؟ كل لحظة تمر هي إعادة للحظات سابقة أو آتية
.. بلا أمل ولا رغبة ... ولا يقين.

الساعة السابعة والنصف...

لابد أن انهض لامارس الروتين اليومي المعتاد قبل ذهابي إلى
عملي الممل بالبنك .. ثم العودة منه إلي روتين البيت ... الأكل
الذي فقد مذاقه منذ زمن طويل .. النوم الملى بالكوابيس ..
الفراغ العريض الذي يبتلع روحي وهكذا تمر أيامي
في طريقي إلى الحمام سمعت أصوات هامسة تخرج من غرفة
أمي .. اندهشت لهذا الهمس المبكر .. نظرت من شق باب
غرفتها المواردب لارى أمي بوجهها الصبوح الذي حفر عليه
الزمن آثاره وهي تتطلع بانزعاج إلى وجه أخي الأصغر مجدي ..
كان الحزن يصبغ ملامحها وصوتها

"يا مجدي يا ولدي كيفن بس عاوز تعرس وأختك لسة قاعدة؟؟
كان همس مجدي الذي يصغرنى بعشر سنوات يتلاشى بفعل
العصبية .. وارتفع صوته بحدة خرجت عن حدود السيطرة
"يعني يا أمي عاوزاني اقعد استنى منار لمتين؟؟ أنا ما صغير
عمري ستة وثلاثين سنة .. عاوز أعيش حياتي زي باقي الناس
ويكون عندي أسرة وبيت وأطفال ... منار خلاص ما عندها
فرصة عرس بعد كدة وهي ذاتها مقتنعة بالشئ دة وما بتفكر في

الموضوع خالص .. انتي بس العاملة منو قضية .. "

أغرقني صوت أمي في بحر من الألم " منو القال ليك ما بتفكر فيه؟؟ يعني عشان هي صبورة وساكطة وما بتتشلعت على العرس؟؟ مالها؟؟ ما زيها زي باقي البنات؟؟ ما نفسها تفرح ويكون عندها راجل وبيت وعيال؟؟

كان رد مجدي الساخر كحقل شوك أجبروني على السير فيه حافية " يا أمي الله يخليك راجل شنو وعيال شنو بعد العمر دة؟؟ إذا كانت مایسة الأصغر منها بخمستاشر سنة بتها قربت تدخل الجامعة .. منار خلاص سنھا زاتو ما بقى يسمح بولادة ...

وبعدين يا أمي ما أخواتي وأخواني كلهم اصغر منها وعرسوا .. اشمعنى أنا العاوزاني انتظرھا؟؟ ولو في أمل انو يجيھا زول ما في مشكلة .. لكن منار خلاص كبرت شديد وبعد كدة ما أظن أي إنسان يفكر فیھا .. حاجة تانية أنا البت العاوزھا ما بتتظرني اكثر من كدة .. بقى لي سنتين أماطل في بت الناس لمن حججي كملت لكن هسة هي قالتها لي صريحة لو ما عملت خطوة جادة واتقدمت لاهلھا وحددت مواعيد العرس حتخليني وتتزوج واحد تاني .. تغيرت لهجته إلى الاستعطاف " يا أمي أنا بأحب البت دي وهي انسانة كويسة شديد ولو ضاعت مني ما بالقي زيھا تاني ..

حاولي تفهميني وتقيفي معاي "

يبدو أن لهجته ألانت قلب أمي الحنون " خلاص يا مجدي استنى بس لغاية نهاية السنة دي ولو ما في زول اتقدم لمنار امشي عرس ما باقول ليك لا ..

انفجر مجدي صارخاً بوجه أمي الذي حاكى وجوه الموتى شحوباً " يا أمي خليك معقولة .. إحنا وين ونهاية السنة وين؟؟

عاوزاني انتظر ثمانية شهور تاني ؟ حرام عليك .. انتي بس همك منار؟؟ أنا ما ولدك ولا شنو؟؟؟ وبعدين منار آخر ثلاثة عرسان

جوها رفضتهم... نعمل ليها شنو إذا هي عاوزة راجل تفصيل؟؟
.. مفروض تقتنع إنها خلاص كبرت وفرصها بقت ضيقة وتوافق
على أي زول يجيها

انغزرت كلماته كالخنجر في قلبي ... فحملت قدمي وهرولت عائدة
إلى غرفتي خوفاً من التهاوي ألما على عتبة باب أُمي الموجوعة

بداية سيئة ليوم قبيح ... كان مجدي محقاً .. لقد رفضت ثلاثة
عرسان أتوني خلال السنة الماضية .. ولكن لأسباب منطقية
ومعقولة ... ليس من أجل الرفض .. وليس لاني ابحت عن رجل
تتناسب مقاساته مع خيالي .. سأنتقل إلى صفحات سابقة من
دفترتي لأذكر نفسي بأسباب رفضي..

العريس الأول .. عم أحمد .. نعم هكذا كنت ادعوه .. فقد كان
صديق أبي المقرب ويكبرني بعشرون عاماً كاملة أي شيخ على
أعتاب السبعين .. ماتت زوجته خالتي إحسان .. تزوج الأولاد
والبنات فشعر بالوحدة وازدادت أمراضه .. أراد أن يعيد شبابه
مع زوجة جديدة تصغره عمراً وتصلح أن تكون خادمة وممرضة
في آن واحد رفضته برغم علمي بوجود الفياجرا في الأسواق ...
العريس الثاني .. المهندس أسامة .. كان يشرف على بناء بيت
ميادة أختي التي تليني في العمر ومتزوجة منذ خمسة وعشرون
عاماً وقد أصبحت جدة منذ فترة قصيرة .. رأني صدفة عندما
ذهبت أتفقد سير البناء تحت إلحاح بنات شقيقتي ... عرض علي
الزواج شريطة أن اترك عملي .. واتفرغ تماماً لرعاية أولاده
الثلاثة ... صبي في السادسة عشرة من زوجته الأولى المتوفاة ..
فتاتين في العاشرة والسابعة من زوجته الثانية التي طلقها لأنها

لم تحسن معاملة ابنه المراهق فتركت له بناته وتزوجت هي الأخرى .. بالطبع رفضته لأنني مقتنعة بعملتي كرئيسة قسم الاعتمادات بالبنك الوطني وليست لي رغبة في استبداله بوظيفة مربية بدوام كامل...

العريس الثالث ... الموظف الجديد تحت إمرتي في القسم .. يصغرنى بسبع سنوات لم يتزوج لضيق ذات اليد .. أتاني خاطباً بدعوى الحب كدت اقتنع وأتغاضى عن فارق العمر تحت ضغط أمي وأخواتي .. لولا مكالمة أتنني قبل الموعد المحدد لعقد القران بأسبوع من فتاة باكية تخبرني فيها بأنها حبيبة زوجي المنتظر منذ خمس سنوات وانه يعتزم الزواج مني فقط لتحسين وضعه المادي وضمان راتبي الكبير وبيت أسرتي الفسيح وسيارتي الفخمة .. رفضته لأنني اعمل في بنك .. لكنني ارفض أن العب دور البنك.

الساعة التاسعة...

ما زلت مستلقية على سريري فقدت الرغبة في الذهاب إلى العمل اليوم .. من حقي الحصول على يوم عطلة امتلك رصيда هائلاً من الإجازات .. كلما فكرت في اخذ إجازة ينتابني الفزع من فكرة البقاء وحيدة أو تكرار الزيارة إلى بيوت أخواتي المتزوجات .. لم تعد لي صديقات مقربات منذ فترة طويلة .. مع تقدم العمر وزواج الأغلبية وتغير الاهتمامات المشتركة تباعدن عني واحدة تلو الأخرى .. حاولت جاهدة التمسك بروابطنا وان أظل جزء من حياتهن ولكن في كل مرة يأتيني إحساس كريح بأنهن يتعمدن إقصائي والتباعد عني .. في نهاية الأمر حثتني طبيعتي الواضحة

على طرح السؤال الصعب عن سرّ التغير في المعاملة .. فكرت في كل الاحتمالات إلا ما صرحت به تلك التي كانت أقربهن إلى قلبي ... " منار ما تزعلي مني ولا من الباقيات .. وجودك في حياتنا بقى مشكلة .. إحنا الولادة والشغل بهدلونا وانتي لسة قاعدة سمحة ومهتمة بنفسك شديد .. بصراحة كل ما تجي لواحدة مننا بعد ما تمشي رجالنا بياكلوا لحمنا بيك .. شوفوا صاحبكم قاعدة كيف جميلة ورشيقة وانتو بقيتوا زي البقر ومنكشات .. شوفوا صاحبكم وصلت وين في شغلها وانتو محلك سر .. بعد كل زيارة منك بتحصل المقارنات وبصراحة ما بتكون في مصلحتنا وبعدين يا منار انتي عارفة زوغان عين الرجال .. إحنا واثقين فيك لكن ما واثقين في رجالنا بالذات انتي وظيفتك كبيرة ومرتبك عالي ... ودة في حد ذاته إغراء ما بيقدروا يقاوموه .. إحنا قلنا بس نرح البنزين من جنب النار .. لكن والله معزتك في مكانها ولو عاوزانا نجيك في أي وقت انتي تحديدها في بيتك كلنا تحت امرك" كانت كلماتها تصيبي بالغثيان والرغبة في تقيؤ كل سنوات الصداقة التي ربطت بيننا فقطعت علاقتي بكل من اسميتهن صديقات .. بدأت ادفع ضريبة عدم زواجي .. وصدقوني كانت باهظة ومؤلمة ... وعلمت فيما بعد من أخرى قابلتها صدفة بان قرار إبعادي أخذته تلك التي كنت أظنها الأقرب إليّ وحدث ذلك بعد أن عبّر لها زوجها عن إعجابه بي كإنسانة محترمة وجميلة ومثابرة في عملها .. فما كان منها إلا أن أعلنت الحرب على وجودي و أقنعت البقية بخطري عليهن.

الساعة الحادية عشرة...

لبست اجمل ثيابي .. تعطرت بأغلى عطوري وخرجت من غرفتي
.. كان الصمت يعم المكان بعد خروج مجدي .. مررت بغرفة أمي
ونظرت بحزن إلى وجهها النائم وآثار الدموع ما زالت محفورة
على خديها المتغضنين .. مررت بالمطبخ وذكرت الخادمة
بمواعيد دواء أمي ووجبتها .. قدت سيارتي وخرجت ..
هل تدرون إلى أين؟؟ خرجت ابحت عن رجل بمسمى زوج كي
يمنحني أهلية الدخول إلى بيوت صديقاتي ويرفع عني حظر
الاقتراب من أزواجهن .. رجل بمسمى زوج يمنحني حق الانتماء
إلى عالم النساء ... رجل يسحق عائق وجودي في طريق مجدي
فيتزوج قبل أن تضيع فرصته .. لقد سئمت من نظرات الإشفاق
في عيون الجميع .. وكرّهت الأسئلة المحبوسة في عيون كل من
يراني عن سبب عدم زواجي حتى الآن ... سئمت خوف الزوجات
وتغامزهن لحظة وصولي إلى أي مجتمع ... وكلماتهن المملوطة
الجوفاء " والله يا منار الرجال ديل عميانيين .. معقولة انتي
بحلاوتك دي كلها ما شايفنك؟؟ " ... " والله يا منار انتي في نعيم
.. كدة احسن ليك مرتاحة من قرف الرجال والأطفال .. عايشة
حياتك زي ما أنتي عاوزة .. لا راجل يتحكم فيك ولا عيال
يستنزفوا عمرك "

من أعطاهم حق تحديد الأحسن والأسوأ في حياتي؟؟ من اخبرهم
أنى سعيدة بحياتي الخاوية من كل انتماء؟؟ إذا سألوني رأيي
سأقول لهم لا أمانع في الحصول على رجل يملاني قرفاً وحباً ..
رجلاً يملاني ضجيجاً وحناناً .. أتوق للحصول على أطفال يحملون
ملامحي وطباعي وامنحهم مخزون الحب المحبوس في أعماقي
ولا أجد له متنفساً ..

أعلنها صريحة ... أريد زوجاً .. اعرض لقب عانس للبيع ...
وسأدفع كل ما املك لمن يشتريه ... فهل من مشتر؟؟ ...

قصاصة سرية من دفتر يوميات فتاة مجنونة

الخميس العاشر من سبتمبر الساعة الرابعة عصراً...

انه احب الأيام إلى قلبي ... انه يوم الزيارة .. وسوف تأتي شقيقتي لزيارتي ... إنها الوحيدة التي تزورني منذ أن أودعني أبى مستشفى الأمراض العقلية ... برغم أنني لا أعاني أي مرض ... أنا لست مجنونة أتمتع بكامل قواي العقلية .. مشكلتي الوحيدة أنى احب طعم الدم .. هل من الجنون أن يحب الإنسان طعم الدم؟؟ لا اعتقد خصوصاً إذا امتزج بالحليب .. وبرائحة أمي .. هل تذوقتم مزيج الحليب بالدم ورائحة أمي؟؟ ميقنة بانكم لم تفعلوا .. لان هذا المزيج خاص بي أنا فقط .. لم يتذوقه غيري ... لانه يومها لم يكن هناك أحد غيري في المنزل .. فقط أنا وامي .. كنت في الثانية من عمري .. وما زلت ارضع ثدي أمي برغم احتجاجات أبى المتواصلة على إصراري رفض كل الأطعمة والمشروبات عدا حليب أمي .. يعتقد أنني كبرت على الرضاعة ... ههه انه غيور .. يغار من حب أمي لي لانه لا يمنحه مساحة كافية ترضي أنانيته البغيضة في الاستحواذ عليها .. أمي المسكينة الضئيلة الحجم ... وضئيلة العقل ايضاً .. كانت امرأة خائفة بصفة مستمرة .. فهي تخاف الناس والأصوات العالية .. تخاف الظلام والحشرات .. وتخاف أبي .. إنها تتنفس الخوف وتعيش به ... استشعرت خوفها بحسي الطفولي وحاولت أن أخرجها من عالمها المتحوصل حولنا أنا وأبي .. عندما بدأت أحبو اتجهت قوائمي مباشرة إلى الباب الخارجي في محاولة لاستكشاف ما يخيف أمي وراء جدران بيتنا الصغير .. لكنها لم تنحني الفرصة فقد انتزعتني بذعر هائل من العتبة الخارجية

واصبح عالمي محصوراً في مسافة امتداد الحبل الذي يربط قدمي الصغيرة بقائمة السرير الخشبي القديم في غرفة نومها ... لم اهتم بالقيد كثيراً فقد وجدت ما يشغلني .. مجموعة من الحشرات الصغيرة التي اعتادت زيارتي بانتظام .. وملاحقة خطواتي المقيدة عندما أحاول الهروب منها ومن لسعاتها المؤلمة .. وبرغم ذلك نشأت بيننا علاقة سرية قوية .. كنت أدرك خوف أمي منهم .. لكنهم أصدقائي ولن ادعها تتخلص منهم .. من سيؤنس وحدتي إذا فعلت .. فهي مشغولة بامور أخرى خارج نطاق فهمي وتتركني وحدي فترات طويلة .. لذلك اعتدت على إخفائهم تحتي حال سماعي خطوات أمي حتى لا تذهب بهم بعيدا .. لكن اعتقد انهم لا يرغبون في الاختفاء لانه بعد رحيلها يرفض معظمهم معاودة الحركة واللعب معي .. يظلون في سكون تام والقلة القليلة التي تتحرك تهرب مني بحركة مترنحة حالما ارفع جسدي الصغير منها...

كان انطواء أمي يزداد بمرور الأيام .. ورغبتها في التقوقع والعزلة تتنامى .. أصبحت ترفض الخروج أو استقبال الزوار برغم محاولات أبي المستميتة لجعلها تعيش حياة طبيعية .. وفي يوم غائم ومكفهر خرج أبي إلى عمله بعد أن اخبر أمي بأنه سيعود ومعه زوار أتوا من بلدته البعيدة .. أمرها بإعداد طعام لائق وتنظيف المنزل .. والاستحمام .. هبة نسيت إخباركم بان أمي خاضعت النظافة منذ أمد بعيد ... فقد أصبحت تخاف الماء ايضاً...

بعد خروج أبي حملتني أمي كالمعتاد وأغلقت الباب من الداخل .. أرضعتني حتى غفوت كان نوماً مليئاً بالأحلام .. ولكن هل يحلم من هم في مثل عمري ؟؟ لا ادري لكنني كنت احلم بألوان جميلة ومساحات واسعة .. وقدم لا يربطها حبل ... صحت على وقع

الصمت الثقيل الغريب .. زحفت خارج فراشي الأرضي الذي
صنعتة أمه أمانا لي مخافة الوقوع من مكان عال .. وبخطوات
متعثرة اتجهت إلى الخارج بحثاً عنها ... ووجدتها .. كانت نائمة
على الأرض بوضعية غريبة .. عيناها مغمضتان بسكون ... يداها
مضمومتان على صدرها ... ومن حولها انتشرت بقعة لون احمر
داكن .. نفس اللون الذي أراه في أحلامي .. كنت جائعة زحفت
بهدوء كيلا أوقظها من نومها .. دفعني فضولي لمعرفة ماهية هذا
اللون الذي يملأ كل مكان في جسد أمي الضئيل .. عندما أعياني
البحث وغلبنى الجوع

أزحت يدها عن صدرها وبحثت عن مصدر غذائي حتى وجدته
كان مليئاً بالحليب .. وملطخاً باللون الأحمر الداكن .. لم اهتم فأنا
جائعة .. كان الطعم غريباً لكنني جوعي كان أقوى فواصلت
الرضاعة .. أغراني سكون أمي بارتشاف اكبر كمية ممكنة من
المزيج الأبيض والأحمر .. بعد الشبع وكعادة الأطفال عدت إلى
النوم في حضن أمي الذي أدهشتني برودته فقد اعتدته دافئاً ..

لم ادر كم مضى من الوقت ونحن نيام فقد استيقظت فزعة على
صراخ أبي وهو ينتزعني من حضن أمي البارد ... وفجأة امتلا
بيتنا الخالي دوماً بإعداد كبيرة من البشر .. كانوا يصدرون
أصوات عالية ومزعجة .. وجدت نفسي أتنقل بين الأذرع الغريبة
وأنا اصرخ مطالبة بان يعيدوني إلى حضن أمي ...

بعد عدة سنوات أخبرتني زوجة أبي التي تبادلني كرهاً بكرهه بأنني
طفلة مجنونة وقد ورثت جنون أمي من دمها الذي رضعته مع
الحليب بعد أن انتحرت بقطع معصمها خوفاً من مقابلة ضيوف
أبي .. كانت الصفة التي ألصقتها بي رخصة استخدمتها بكل
مهارة لفعل ما يحلو لي والهروب من العقاب القاسي عن أفعالي
ضد زوجة أبي الشريرة وأطفالها القذرين المزعجين

آه ... كم أتوق إلى هدوء بيت أمي وعزلتها عن العالم .. كم اكره زحام بيت أبي واكره الأصوات التي تملأه .. كم اكره الناس كلهم ... لقد عثرت زوجة أبي على دفتر يومياتي الذي أخبئه بكل حرص .. قرأته بكل وقاحة .. أعطته لأبي كي تدلل به على جنوني الوراثي .. فما كتب فيه لا يمكن أن يصدر عن طفلة في الثانية عشرة من عمرها .. وهو يظهر بوضوح اختلال عقلي وجنوني الخفي الذي قد ينفجر في أي لحظة .. خاف أبي من دفترتي فمزقه إلى قطع صغيرة واحرقه .. لقد قتل أبي صديقي الوحيد الذي أودعته أسراري منذ أن تعلمت الكتابة والقراءة .. الوحيد الذي يسمعي ويفهمني .. الوحيد الذي لا ينعطني بالجنون ... لحظتها فقط أحسست بجوع إلى طعم الدم...

في تلك الليلة تسللت إلى المطبخ واخترت سكيناً كبيراً وحاداً .. جلست في الظلام ارقب أبي حتى خرج إلى الصلاة .. ودخلت إلى غرفة الشريرة التي تسببت في مقتل صديقي .. كانت ضربة واحدة أودعتها كل قوتي وحقدي لهذه المرأة التي احتل مكان أمي في قلب أبي .. لم تصرخ .. فقط فتحت عينان فزعتان للحظة ونظرت في عمق عيوني ثم أغمضتهما إلى الأبد .. ولم يكن طعم دمها كطعم دم أمي .. لا باس .. ربما أجد الطعم الذي ابحت عنه في دم أطفالها القذرين .. فهم مثل أمي يكرهون الماء ويقاطعون الاستحمام...

ههة .. أيقنت الآن انه ليس هناك طعم دم شبيه بدم أمي .. ولكن هناك مشهد شبيه .. عودة أبي من الصلاة وصراخه .. أمواج البشر التي توافدت إلى بيتنا .. أصواتهم المزعجة .. واخيراً ... هدوء تام .. مثل هدوء بيت أمي .. فقط من وقت لآخر يزعجونني بجلسات مع رجل وقور يتصنع الشجاعة في مواجهة نظراتي الثابتة .. ويطلب مني أن اخبره عن سبب إقدامي على

قتل زوجة أبي وأطفالها ... انهم لا يفهمون .. لم أرد قتلهم .. فقط
كنت ابحت عن طعم دم أمي...

اقترب موعد الزيارة .. لقد وافقت على الاستحمام استعداداً
لحضور أختي وطلبت أن يمنحوني ورقة وقلماً حتى اكتب رسالة
لأبي تحملها أختي عند مغادرتها .. الممرضة التي اقتنعت بشفائي
خلال الفترة التي قضتها معي منذ سنوات .. أحضرت لي ورقة
بيضاء وقلم رصاص .. لكن ما هذا ؟؟ سنة القلم مكسورة .. كيف
يريدونني أن اكتب بسنة مكسورة ؟؟ ماذا يظنونني ؟؟ مجنونة ؟؟
طلبت من الممرضة بهدوء أن تسن القلم حتى أستطيع الكتابة بخط
جميل سوف اطلب من أبي أن يأتي لزيارتي .. فقد رفض أن
يزورني منذ كم من الوقت ؟؟ لا ادري ربما عشر سنوات أو اكثر
منذ آخر لقاء لنا..

أتت أختي .. أنها تشبهني كثيراً ... نفس الملامح والطول .. حتى
وزني المتهاوي تشابهني فيه .. جلسنا .. تسامرنا سألتها عن أبي
أخبرتني بأنه تزوج مرة أخرى وانجب طفلة وحيدة أعطاها اسمي
.. كنا نضحك بحبور ... وفجأة .. شعرت بالجوع ... يا الهي
احتاج إلى رضعتي .. عفواً اقصد وجبتي ... نظرت إلى أختي
اللاهية عني بالنظر حولها .. كان العرق الموجود في عنقها
النحيل ينبض باغراء .. حاولت أن أقاوم بكل ما املك من إرادة ..
اعذروني لم استطع .. فهويت بقلم الرصاص المسنون على ذلك
النابض المغربي...

آه .. أخيراً .. طعم دم شبيه بدم أمي ... نفس المذاق .. كم احب
هذا المذاق .. كم بحثت عنه منذ طفولتي..

ما هذا الصوت المزعج ؟؟ إنها الممرضة .. لقد أصيبت بالجنون
.. لابد انه تأثير مخالطة المرضى .. أنها تصرخ بهستيريا .. إنها
تحاول أن تخنقني ... إنها تضغط بكلتا يديها على عنقي النحيل ...

لا أستطيع التنفس ... طعم الدم يملأ حلقي ... أمي .. أنا أراك ..
أري يدك الممدودة إلى ... أشم رائحتك .. أخيراً سأعود إليك
ونبقى سوياً..

ملحوظة:

كتب في تقرير الطبيب الشرعي الذي عاين الجثة بان الضحية
طعنت نفسها بقلم حاد في الشريان الرئيسي في العنق وكان
اندفاع الدم قوياً حيث فشلت محاولات الممرضة لإنقاذها عن
طريق الضغط عليه.

كتب في تقرير الطبيب النفسي أن المذكورة أدخلت المصح منذ
عشرة أعوام بعد أن قتلت زوجة أبيها وأطفالها .. وكانت هناك
شكوك بأنها ربما شربت القليل من دمانهم .. هي شخصية
ذهانية مصابة باكتئاب حاد وانفصام في الشخصية بصور لها
وجود أخت تشبهها وتتكلم معها .. وتعاني من ميول انتحارية
قوية وربما تلعب الوراثة دوراً فقد انتحرت والدتها بقطع شرايين
يديها عندما كانت المذكورة طفلة في الثانية من عمرها ...

قصاصة سرية من دفتر يوميات امرأة مطلقة

الاثنين 17 يوليو الساعة 3:15 فجراً ...

يا لها من ليلة جافاني فيها النوم بإصرار عنيد .. اشتكى السرير
القديم من فرط حركاتي القلقة تجعد الفراش تحتي بانبعاجات
غريبة .. رافة به نهضت عنه ونظرت إلى وجه أختي النائمة
بسلام حسدتها عليه .. حملت خطواتي بهدوء كي لا أوقظها
واتجهت الى الطاولة الموضوعه قبالة الحائط في ركن الغرفة ..

اخرجت دفترتي الاحمر وقلمي الازرق وقررت ان ادون مذكراتي
عن هذا اليوم الحزين بكل فرح .. يحق لي ان افرح برغم حزن
الباقيين .. فاليوم حصلت على ورقة طلاقى بعد صراع مرير
استمر سنتين كاملتين مع زوجي .. او ربما يجب ان اقول زوجي
السابق؟؟ عشت معه خمس سنوات لم اعد بعدها اطيق الحياة
معه .. هذا الرجل القمى ذو الانفاس النتنة .. منذ اول ليلة
اكتشفت أي نوع من الرجال هو .. مخلوق محدود التفكير منعدم
الطموح اعتمد على ميراثه الضخم من والده المتوفي حديثاً ليحل
له كل مشاكله بما فيها شراء زوجة جميلة .. متعلمة ومن اسرة
فقيرة .. فرح اهلي بالصفقة فقد كانت رابحة .. بالنسبة لهم على
الاقل .. الخلاص من مسئولية فتاة اخرى على اعتاب الثلاثين ..
والفوز بصهر غني قادر على تنفيذ كل الطلبات بسخاء .. انتزعوا
موافقتي بعد ممارسة كل انواع الضغط من امي الملحاحة وابي
المصرّ واخوتي المتاملين الطامحين في الحصول على جزء من
ارباح الصفقة .. بالاضافة الى ضغط واقع بيتنا المتهالك وحاجتنا
الماسة الى الدعم الموعدود من الزوج الثري بصيانة المنزل ..
ومن في المنزل ..

كرهته من أول يوم خصوصاً بعد الاغتصاب العنيف الذي مارسه
بكل قسوة متجاهلاً خوفي وتعبي وحاجتي إلى التعود على وجوده
الثقيل .. ناهيك عن رغبتى في التقيؤ وانا اراقب اسلوبه الهمجي
في ابتلاع كميات هائلة من الطعام .. اصراره على الكلام وفمه
ممتلئ به .. التجشؤ بصوت كالرعد بعد كل قزمة تدخل جوفه
البدن ..

لقد بذلت أقصى ما املك من إرادة وقدرة على التحمل لإنجاح هذا
الزواج .. وبعد ثلاث سنوات استنفذت كامل طاقتي خصوصاً بعد
ان يؤست من الحصول على طفل يملا حياتي ويلهيني عن زوجي

الذي انحصر تفكيره طيلة وجوده في المنزل بين شيئين لا ثالث لهما .. تناول الطعام .. وسحبي إلى السرير كلما حلا له الامر .. في أي وقت وبدون مراعاة لمشاعري ورغباتي ... اذداد قبلاً ونتانة بعد ان اكد لنا الطبيب سلامتي من أي مانع يحول دون حملي .. وان زوجي العزيز يعاني خللاً يستحيل معه الانجاب ...

بمرور الأيام تطور سوء المعاملة ليصبح عنف جسدي يحاول أن يعوض به عجزه في إنجاب وريث يثبت به رجولته المهدورة كل يوم على فراش الخادمة المثيرة التي أحضرها خصيصاً من بلدها بمواصفات خاصة كي يعيش معها أو هام السيد المتملك بعد أن أصبح جسدي لوح خشبي في مواجهة رغباته المهينة اللامتناهية .. طلبت الطلاق اثر ضربه لي بوحشية بعد نقاش بسيط بيننا .. رفض هو .. ورفض اهلي بشدة اكثر منه مع اختلاف الدوافع ... رفضه كان محاولة يائسة لاذلالي عن طريق رهن حرיתי في سجنه الفخم .. اما رفض اسرتي المتوقع فقد كان مخافة انقطاع الدعم المادي الذي اشترى به زوجي رضاهم وسكوتهم عن ما يحدث لي ... في أول فرصة للهرب جمعت اغراضي ووضعت اهلي امام الامر الواقع .. لقد عدت اليهم كما خرجت .. ولن ارجع إلى زوجي الا جثة هامة .. لم يستطيعوا الوقوف امام عنادي واصراري فسكتوا على امل أن تهدأ النفوس واعدوا إلى صوابي ... إلى الدجاجة التي تبيض لهم ذهباً ... لم يساندوني فلجات إلى المحكمة واوكلت قضيتي إلى احدى صديقاتي وهي محامية اشتهرت بكسب قضايا الطلاق الصعبة .. واخيرا اتاني عمي الذي يقاربني في العمر وبعد جلسة مصارحة طويلة قصصت له فيها أي نوع من الحياة كنت اعيش .. قرر مساندتي في طلب الطلاق ... بل اقنع ابي بالموافقة على أن اعمل حتى اشغل وقتي واساعد في مصاريف المنزل .. وبعدها اتت الموافقة حصل لي على عمل

في احدى شركات التأمين كسكرتيرة لصديقه مدير الشركة ...
حصرت علاقاتي بالجميع .. خصوصاً زملاء الرجال كنت
حريصة على اخفاء مشاكل الزوجية وجعلت الجميع يعتقد انني
اعيش حياة طبيعية ... كما قال المرحوم احمد زكي في فيلمه الذي
يحمل نفس الاسم (انا لا اكذب ولكني اتجمل) .. وبما انني في
نظر الجميع متزوجة فقد احترمت البعض رغبتني في التباعد وعدم
الاختلاط .. ولكن افترض سر خلافي مع زوجي عندما ايقن
بخسارته للقضية فاتى الى مكان عملي .. وكان مشهداً مجانياً
مغرياً للعيون الفضولية توزعت فيه النظرات الشامتة بيني وبين
زوجي بسبابه البذئ الذي ختمه بتهديد صريح بتعليقي بين
السماء والارض حتى اموت ..

بعدها تغيرت طريقة المعاملة .. واسلوب التعامل .. كثرت
التلميحات المتوارية .. الكلمات المبطنة بمعان اخرى .. اصبحت
الزميلات اكثر حذراً واقل وداً ... كان هذا قبل ان استحق لقب
مطلقة .. يا ترى كيف سيكون الحال بعد الطلاق ؟؟ لا استطيع
ترك وظيفتي فانا احتاج الى الراتب لتوفير احتياجاتي .. اضافة
الى المساهمة في مصروف البيت ومحاولة تعويض الاسرة عن
المبلغ الذي اعتاد زوجي السابق دفعه اليهم كل شهر
أحس بصداق قاتل ... تجاوزت الساعة الرابعة والنصف صباحاً
اصبحت عيناى ثقيلتان وتنبعث منهما حرارة قاتلة ودموع لم اعد
استطيع التحكم بها .. لقد طلبت اجازة لمدة اسبوع حتى استعد
لمواجهة الحياة بعد ان تنازلت عن لقب زوجة وسعيت وراء لقب
المطلقة بمحض اختياري ... ساتوقف الان عن الكتابة .. غداً يوم
آخر...

الخميس 20 يوليو .. الساعة الخامسة صباحاً...

اشتقت إلى دفتر يومياتي .. كانت الأيام الماضية عصبية ومرهقة
جسدياً ونفسياً ولم اجد الوقت ولا الطاقة للكتابة .. عدد كبير من
الناس توافدوا ليقدموا واجب المواساة في طلاقي .. وتوالت
الدعوات باصلاح البين مع زوجي وانا ادعو الله بكل حرارة و بعد
كل دعوة " اللهم لا تستجب .. " وسط كل هذا كنت احاول التأقلم
مع ما يدور حولي واستيعاب قدرة البشر على تغيير مواقفهم
غضب ابي .. حزن امي .. وارتباك اخوتي ..

بالأمس أحسست بانني اختنق فقررت الخروج لزيارة رقية
صديقتي منذ الطفولة .. بدا التحفز على وجوه الجميع عندما
اعلنت نيتي في الخروج .. انتني امي بنظرات خائفة " سهيلة ؟
انتي صحي قلتي ماشة لرقية ؟؟ اجبتها بتحدى ..ايوة يا امي انا
متضايقة وعاززة اطلع شوية اشم هوا غير هوا البيت الملان نكد
دة .. ومحتاجة اتكلم مع زول قريب لي .. انتي عارفة اني ما
برتاح لزول قدر رقية " نظرت الي بغرابة وتمتمت بكلمات لم
يسعني سماعها " في شنو يا امي ؟؟ مالم بتتكلمي تحت تحت ؟؟
عندك اعتراض اني امشي لرقية ولا شنو ؟؟

نظرت إلى طرف ثوبها وقامت بانتزاع خيط وهمي تشاغلته به
عن النظر إلى وجهي ثم ردت بخفوت " يا سهيلة يا بتي انتي
هسة وضعك اختلف .. يعني ما مفروض تدخل وتطلعني زي
زمان .. لسان الناس ما بيرحم وانتي خلاص بقيتي مطلقة ..
كانت الكلمة كرصاصة صوبت إلى راسي بعد حكم اعدام سريع بلا
قاض ولا محلفين ... وكان الدفاع انا .. " امي ؟؟ دة كلامك ولا
كلام ابوي ؟؟ شنو يعني مطلقة ؟؟ يعني عشان اتطلقت خلاص
بقيت ناقصة .. محتاجة وصاية ومراقبة ؟؟ .. انا لا اول واحدة

ولا آخر واحدة تتطلق .. المفروض عشان الشئ دة حصل احبس نفسي وما اطلع؟؟ يكون في علمكم انا اجازتي حتخلص يوم الاثنين ونازلة شغلي عادي .. موضوع الطلاق دة خلاص انسوه " ضربت امي صدرها بيدها للدلالة على عدم تقبلها لكلامي " فضيحتنا .. شغل شنو العاوزه تمشييه؟؟ انتي مجنونة؟؟ عاوزه الناس تاكل وشنا؟؟ كيف تشتغلي وانتي مطلقة؟؟.. اجبتها بتحدي " ولو ما اشتغلت منو حيصرف علي؟؟ وانتو حتتملوني لو ما ساهمت في مصاريف البيت؟؟ يا امي خليكم ناس واقعيين وبطلوا الكلام الفارغ دة .. انتو محتاجين لمرتبي اكرر مني واسكتها ردي على الفور .. وهمت بالخروج ثم التفتت مرة اخرى " طيب يا سهيلة موضوع الشغل دة لمن نشاور ابوكي فيه لكن كدي هسة ختي الرحمن في قلبك واقعي .. ما تقولي طالعة لانو ابوك هايج شديد وانا ما عاوزاكم تتشاكلوا .. بكرة الصباح لمن يطلع امشي لرقية وارجعي قبل ما هو يجي.. وهكذا يا دفتر الحبيب حدد طلاقي حقي في الخروج ووضعني تحت الإقامة الجبرية...

الجمعة 21 يوليو الساعة الثانية ظهراً ...

ذهبت اليوم إلى منزل رقية برغم رفض أبي وتعتت أخي .. لقد نسينا أن اليوم الجمعة اصبح تشابه الأيام مملاً .. ومخيفاً .. لكنني اصريت على حقي في الخروج ووقفت امام وجه أبي العابس واخي المكفهر وهما ينظران الي بتوتر " ابوي انا ما قادرة افهم .. يعني مفروض احبس نفسي في البيت عشان اتطلقت؟؟ انا ما باعمل حاجة غلط .. وما عندي نية اسجن روحي بسبب طلاقي .. لو أي واحدة اتطلقت اهلها حبسوها كان

كل بيت في السودان بقى سجن .. صمت أبي وتكلم الشقيق الذي
أكبره بستة اعوام " سهيلة .. لازم تعرفي انو طلاقك غير حاجات
كثيرة .. بقى وضعك حساس ولازم تعملي حسابك على أي حركة
وتصرف .. وبعدين تعالي شنو التوب الانتي لابساه دة؟؟ مبهرج
زيادة عن اللزوم .. والجيبة في نص ساقك وبلوزتك نص كم ..
لازم تغيري طريقة لبسك وتاني ما تختي مكياج في وشك وانتي
طالعة .. انتي خلاص بقيتي مطلقة...

الاثنين 24 يوليو الساعة الخامسة عصراً ...
آه ... كم أنا متعبة .. تعاني روعي من الارهاق والتشتت ..
انتهى اسبوع الاجازة وعدت إلى عملي اليوم .. لحظة وصولي
المكتب رايت الغمزات تتطاير من عين لاخرى .. والهمسات تتناثر
باستتار مفضوح .. تجاهلت الجميع واتجهت إلى مكتبي اغلقت
بابي وغرقت في حزني وتوجسي مما هو آت ...
عند منتصف النهار كان خبر عودتي قد انتشر في الشركة فتوافد
الزملاء والزميلات إلى مكتبي بحجج واهية ظاهرها الرحمة
وباطنها العذاب .. وتباينت النظرات بين متعاطفة وشامته ...
وطامعة ...

آخر النهار وعند وقوفي أمام بوابة الشركة بانتظار بص الترحيل
الجماعي .. اقترب مني اكثر من زميل عارضاً خدمة توصيلي ..
هذه الخدمة التي لم تكن متوفرة طيلة الفترة السابقة عندما كنت
متزوجة .. فلماذا الآن؟؟ بالتأكيد لانني مطلقة ... يا لها من كلمة

...

الأحد 30 يوليو ..

اصبح الوضع في الشركة لا يطاق .. باتت عداوة الزميلات

واضحة ومفضوحة .. المتزوجات منهن والعازبات .. تكتل الجميع
ضدي لممارسة سياسة العزل والاقصاء بلا رحمة .. غابت التحايا
الودودة .. انتهت جلسات الشاي والفتور المشتركة .. وبدا
التحفز ياخذ منحى جديداً باطلاق الشائعات عن بحثي لرجل يلعب
دور البديل للزوج .. شريطة ان لا يكون زوجاً .. هل فهمتم
قصدي؟؟ ما اقبح عالم النساء .. وما اشد كيد النساء للنساء ..
وما اقبح عالم الرجال .. وما اشد طمعهم ودناءة نفوسهم ...
مديري صديق عمي الذي ربطتني به علاقة ود واحترام ...
احسست به اليوم يقف وراء ظهري وانا أعيد ترتيب الملفات في
الادراج .. كاد يلتصق بي .. سمعت انفاسه اللاهثة في اذني
وجاءني صوته كالفحيح وهو يسألني " سهيلة .. محتاجة
مساعدة؟؟ " منذ متى اصبح المدير يساعد السكرتيرة في ترتيب
الملفات؟؟ اجبت بلا وانسحبت بهدوء وحزم .. انزويت وراء
مكتبي احتمي به من محاولة التقرب المثيرة للاشمئزاز .. واخفي
وراءه دهشتي من تلاشي الاحترام الذي كان يسود بيننا ..
واتساءل اين ذهب؟؟ هل انتهى بانتهاء لقبي كزوجة؟؟

السبت 5 أغسطس...

اليوم قدمت استقالتني من عملي .. لقد تعرضت لاقبح موقف قد
تمر به امرأة محترمة .. تعرضت لمحاولة انتهاك كرامتي وتدنيس
اعتزازي بنفسي .. برغم محاولاتي المستميتة للاحتفاظ بوظيفتي
وتجاهل تصرفات مديري والتجاوز عن اسلوبه الذي بدأ تتخذ
طابع الوقاحة .. الا انه لم يرتدع .. اليوم حضر مبكراً على غير
العادة وطلب مني موافاته .. بنظرة غريبة أخافتني امرني
بالجلوس في الكرسي المواجه له .. فتح درج مكتبه واخرج كيس
صغير انيق .. وضعه امامي وطلب مني فتحه .. بتردد تناولت
الكيس وفتحته فاصطدمت يدي بصندوق طويل من المخمل الناعم

ويوحى مظهره بما يحتويه .. مادت الأرض تحت اقدامي ..
أغمضت عيني وأنا أدعو ربي في سري أن تخطئ توقعاتي ..
وكان واضحاً بأنه هو من اخطأ في فهم ردة فعلي .. نهض
بسرعة من خلف مكتبه وتقدم نحوي بخطوات مترنحة وجلس في
الكرسي المقابل " سهيلة دي هدية بسيطة اعبر بيها عن إعجابي
الشديد بـبك ... أتمنى تقبليها عشان تبقى عربون محبة بينا ..
وانخفضت طبقة صوته حتى صار اقرب للهمس وبلا انذار قبض
على يدي المرتجفة وبدا يسحقها تحت ضغط يده ... حاولت ان
اسحبها لكنه امسك بها بقوة أخافتني وظهر الفزع في عيني ... "
ما تخافي يا سهيلة انا انسان رقيق ومليان حنان وما لاقى الاديه
ليه .. يمكن تقولي في سرك ما اديه لزوجتي .. حاقول ليك من
زمان هي بقت في وادي وانا في وادي ثاني .. مشغولة بالبيت
والعيال وما حاسة بي ولا باحتياجاتي .. ما قادرة تديني الانا
عاوزه ... ازداد الدوار في رأسي ويده تواصل سحق يدي بقوة
وعنف .. " انا حاسي بـبك يا سهيلة .. عارف العذاب الانتي
عشتيه مع راجلك .. وعاوز اعوضك عنه بس انتي اديني الفرصة
أكون قريب ليك وتاكدي انك ما حتندمي " عندما استطعت النطق
اخيراً جعله سؤالي المفاجئ يطلق سراح يدي بسرعة " يعني انت
عاوز تتزوجني؟؟ " قفز من الكرسي كمن لدغته حية " اتزوجك
؟؟ هسة الجاب سيرة العرس منو؟؟ فزعت من المعنى المبطن
لكلماته وحاولت تكذيب ظنوني " امال انت قصدك شنو؟؟ " ...
اتاني رده كريهاً تفوح منه رائحة العفن .. " سهيلة انتي
بتستهيلي ولا شنو؟؟ انا ما عندي طريقة اعرس مرة ثانية ..
لكن ممكن نكون اصحاب ونريح بعض .. كدت اتقيا في وجهه
الملئ بالرغبة السافرة وهو يواصل " انا عندي شقة مفروشة ما
في أي زول عارفها ممكن نتقابل فيها .. وتاكدي اني حاخليك الكل

في الكل هنا في الشركة .. حازيد مرتبك الضعف ولو عاوزة
عربية بانزلها ليك جديدة من الورقة .. لكن شرطي الوحيد انو
علاقتنا دي تفضل سر وما في أي زول يعرف بيها .. نهضت
بقرف وسالته .. يعني انت عاوز ليك صاحبة مش كدة ؟؟ آسفة
انا ما باصلح للدور دة فتش في مكان تاني .. كان رده مليئاً
بالسخرية " انتي عاوزة تعملي لي فيها خضرة الشريفة ؟؟ انتي
ناسية انك مطلقة ؟؟

يوم آخر لا اعلم تاريخه ..
لقد توقفت عن حساب الأيام والساعات .. فقد اصبحت كل
اللحظات متشابهة .. تحمل طعم الالم ولون الغضب صار التمرد
يملا اعماقي ضد الجميع بسبب معاملتهم القاسية لي وكانني
ارتكبت جرماً لا يغتفر .. واصبحت محاصرة من جميع الجهات
بالنظرات المنتقدة لكل ما اقول وافعل وارتي .. حصار بالكلمات
اللاذعة من امي وابي واخي .. حتى اختي التي كنت اعطيها كل
ما تريد .. باتت الآن تعاملني كأنني عار يحلق فوق راسها
وتحاول اخفاؤه من العيون .. لقد طلبت مني اليوم وبكل صفاقة
أن اخفي ساعة حضور اهل خطيبها حتى لا يتذكروا أن لديها
أخت مطلقة...

يبدو لي انهم قريباً سوف يمنعون عني الهواء الذي اتنفسه بحجة
أني مطلقة ... كانت الافكار تدور في راسي وانا اركض بتعب
خلف ابن اختي الصغير ذو الستة اعوام في محاولة يائسة لتبديل
ملابسه المتسخة استعدادا لوصول الضيوف .. وعندما امسكته
اخيراً كان يهز راسه بعنف يمينا ويسارا تفادياً لدخول القميص
في راسه الصغير وهو يصيح " يا خالتو ما تلبسيني .. ما عاوزك

تلبسيني " كنت اجاريه في حركاته واحاول اقناعه بارتداء القميص .. " ليه يا حمودي ما عاوزني البسك؟؟ مش انا خالتو حبيبتك؟؟ تلثم وهو يبحث عن سبب مقنع .. عشان .. عشان ... عشان .. واخيراً تهللت اساريه بعد ان عثر على الجواب المناسب " عشان انتي مطلقة... "

قصاصة سرية من دفتر يوميات بائعة هوى

الجمعة 6 اكتوبر .. الساعة العاشرة والنصف صباحاً .. ما زلت أجاهد عضلاتي المتعبة كي تلين و أستطيع مغادرة السرير .. كل جزء في جسدي يئن المأ .. كل عصب داخلي مشدود ومتشنج ... كأن عجلات شاحنة ضخمة مرت فوقى مراراً وتكراراً ... ألم تكن شاحنة؟؟ بلى فزبون الأمس الستيني كان بجسده البدين وحركاته العنيفة أشبه بشاحنة ثقيلة متهاكة الإطارات .. معطوبة الفرامل .. ويتسرب زيتها بلا انقطاع ... ألا لعن الله من اخترع حبوب الفياجرا .. فقد جعلت من النعاج ثيراناً هائجة تصعب السيطرة عليها ... وجعلتنا نحن كالقوطة التي توضع في دورة مياه عامة .. متعددة الاستخدامات .. ومليئة بالقذارة ...

في السابق كان الزبائن ذوو الاعمار الكبيرة والجيوب المنتفخة سلعة مرغوبة لنا نحن معشر بائعات الهوى .. فهم سريعوا الإرضاء ويسهل التعامل معهم .. وفي بعض الأحيان كانت الجلسة تقتصر على كثير من الكلام .. وقليل من الأفعال .. وعندما أكون مع أي منهم أحس وكأنني طبيب نفسي يتقاضى أجراً باهظاً كي يستمع إلى مشاكل تافهة ليس مطلوباً منه حلها عليه فقط أن يستمع بانتباه .. ويبدى التعاطف المطلوب ..

أما الآن فقد تساوى الكهول مع الشباب وهم اصعب فئات الزبائن

إرضاء .. فهؤلاء يأتون مشبعين بثقافة الأفلام والمجلات الغربية
.. امتلا خيالهم بنظريات صعبة التطبيق .. بعضهم يأتي غريراً
وبه مسحة حياء سرعان ما تختفي .. وبعضهم يأتي منتفخاً
كالديك الرومي لينهار غروره مع سقوط ملابسي ... ويصبح
كالدمية في يدي أحركها كيفما أشاء " ابتسام يا بتي الساعة
قربت على حذاشر ..مالك الليلة نائمة للوقت دة؟؟ قومي الدنيا
جمعة " أتاني صوت أمي الحنونة الغافلة عن مهنتي السرية ...
فهي شأنها شأن جميع الأمهات تعتبرني اظهر مخلوق على وجه
الأرض ... أمي التي رفضت الزواج بعد وفاة أبي فجأة .. دفنت
شبابها الغض في عيون أبناءها الثلاثة احمد الكبير الذي سافر
إلي ليبيا منذ سنين وانقطعت أخباره والمساعدة الضئيلة التي كان
يرسلها .. أعيانا السؤال عنه .. بلا جدوى .. فقد اختفى ولا ندري
برغبته واختياره أم لاسباب قاهرة لا نعلمها .. أنا في الوسط ثم
آخر العنقود أمير المدلل الذي تخرج من الجامعة و أدمن الجلوس
على ناصية الشارع بعد أن أعياه البحث عن عمل يتناسب مع
مؤهله الغريب " فنون جميلة " .. كأنه لم يدرك بان الجمال لم
يعد يقطن مدينة الفنون .. وان تخصصه لن يؤهله لوظيفة
محترمة تدر دخلاً نعتاش منه .. تذكرت إصراره الحالم على
دخول الكلية لصقل موهبة الرسم اعتقاداً منه بأنه سيكون دافنشي
عصره هدر سنوات من عمره ليجلس في نهايتها عاطلاً على
حجر أمام دكان عم ياسين يدخلن السجائر التي يبتاعها بعفتي
المسلوبة يومياً على فراش الغرباء ... كل ليلة عندما أعود بجسد
منهك وروح ميتة .. اجلس لادون الأحداث التي مرت بي خلال
اليوم .. ولكن قبل أن يخط قلمي حرفاً واحداً في الصفحة الجديدة
.. أتلذذ بتعذيب نفسي والعودة إلى صفحات قديمة بتاريخ يعود

إلى سنوات مضت ... تاريخ بداية السقوط ... أقرأ بسخرية كيف
كنت اصف مشاعري تجاه أول حب في حياتي ..

كنت في الصف الثالث الثانوي استعد بهمة للجلوس لامتحان
الشهادة السودانية .. كانت قد مرت خمس سنوات على وفاة أبي
صارعت فيها أمي الحياة لنعيش بكرامة .. عملت في كل حرفة
تتقنها فباعت الكسرة والفسيح .. خاطت الثياب .. هذا عدا عن
الشغل الموسمي .. عواسة الحلو مر قبل رمضان .. وبيع الخبز
قبل العيد .. تجهيز عطور العرائس .. بعملها الشاق لم نحتاج
لمعونة أحد .. لكننا أيضا عشنا على الكفاف

أصرت أمي على دخولي دروس خصوصية مسائية في مدرستي
القريبة من المنزل .. كانت أسعارها زهيدة لان المدرسين كانوا
طلاب جامعات وليسوا أساتذة محترفين ...

اعتقد أنني قد وقعت في غرام أمين منذ أول درس رياضيات ..
كان طويلاً نحيلاً .. له عيون بنية وشعر ناعم يلتف في دوائر
جميلة تقترب من حدود النظارة الطبية ذات الإطار الأسود الرفيع
.. كان طالباً في السنة الأخيرة بكلية الهندسة ومن أسرة ميسورة
الحال .. تطوع كأقرانه لمساعدة الطلاب غير المقتدرين بإعطائهم
الدروس بأسعار رمزية ..

تطورت علاقتنا بصورة مخيفة من نظرات مختلسة وابتسامات
متبادلة ... إلى قصاصات ورق صغيرة مدسوسة بين الدفاتر ..
وقبل أن نفقد حجة اللقاء بانتهاء الامتحانات كنت قد التقيته عدة
مرات بعد انتهاء الدرس في الشوارع المنعزلة المحيطة بالمدرسة
.. تغلغل داخل كياني كالحمي وقضى على كل مقاومة داخل عقلي
وقلبي .. انقطعت عن رؤيته أثناء فترة الامتحانات وبقيت بيننا
الاتصالات الهاتفية اليومية التي كنت أتحايل على أمي المسكينة
كي احصل منها على أجرتها واجريها من محل الهاتف القريب من

المدرسة ... عند انتهاء آخر امتحان وجدته ينتظرني أمام بوابة المدرسة.. كان شوقنا اكبر من كل محاولات التعقل وانتهى بنا الأمر في شقة صديق له .. وكانت لحظة انتصاره وسقوطي ... الآن وبعد أن خبرت الحياة استوعبت معنى مقولة قرأتها في مكان ما مفادها أن (المرأة تعطي الجنس لتحصل على الحب .. والرجل يعطي الحب ليحصل على الجنس) وما أوسع الفرق بين العطاءين..

عندها أدركت أن اصعب لحظات السقوط هي اللحظة الأولى بعدها تنخر سوسة التعود في ضمير الإنسان حتى يصبح الخطأ عادة لا يتحرك لها عصب ولا يهتز لها طرف ... أصبحت لقاءاتي مع أمين منظمة وبمواعيد متفق عليها .. لم اعدم حيلة تخرجني من المنزل في أي وقت أرغبه .. زيارة صديقة .. البحث عن عمل .. وامي المنهكة من العمل المتواصل والمتبلدة من الثقة الزائدة تعتبرني الملاك الذي لا يخطئ فأعطتني حرية لا حدود لها.. تخرج أمين من الجامعة بتقدير جيد جداً أما نتيجتي فقد كانت متواضعة ولا تؤهلني لدخول كلية يعتد بها .. لذلك قررت البحث عن عمل حتى أساعد أمي في توفير لقمة العيش .. خصوصاً مع استسلام أمير الاختياري لعطالته الإجبارية.. وحاجتنا الماسة لزيادة مصدر دخل الأسرة ...حصلت على وظيفة مدرّسة في مدرسة ابتدائية مما أعطاني حرية اكبر في الخروج ومقابلة أمين ... اصبح تواصلنا الجسدي امراً مسلماً به في كل لقاء .. وبدا وعده بالزواج يتباعد مع تزايد اللقاءات .. ثم أنت مرحلة التهرب من لقائي إلا بعد إلحاح شديد مني .. وأنا الغبية اصدق تحججه بالعمل الجديد الذي حصل عليه في إحدى الشركات الكبيرة ... وفي يوم طلب هو لقائي فطرت إليه فرحاً وشوقاً .. فوجئت بوجود آخر معه .. عرفني به .. كان صديقه صاحب الشقة ..

جلسنا معا قليلاً يلفنا الصمت والارتباك .. ثم اعتذر أمين بمواعيد مسبقة وخرج مسرعاً ... تركني مذهولة وأنا استمع لشرح صديقه عن ضرورة تفهم الظروف .. وانه سيكون بديلاً جيداً لأمين .. أصبت بالشلل وأنا أحاول استيعاب ما يحدث .. لقد تنازل أمين عني لصديقه .. كاني حقيبة أو حذاء .. ولم يكلف نفسه عناء الشرح أو الاعتذار .. ترك الأمر لمن ستؤول إليه الملكية الجديدة كي يجد الأعذار ويوضح الأسباب .. وفي لحظة الشلل الذي اعتراني كنت قد أصبحت جسداً مستباحاً للصديق المتلفهف .. يبدو أن الحب في قلب أمين قد مات في اللحظة التي منحته فيها نفسي عربوناً ادلل به عن حبي له...

بعدها لم يعد لدي ما افقده .. ألم أخبركم أن لحظة السقوط الأولى هي الأصعب؟؟ وبعدها تتساوى الأشياء ... امتهنت بيع جسدي لمن يدفع ثمنه .. لقد منحته مجاناً لأمين .. وحان الوقت لاستفيد منه .. كانت حرفة سرية .. ومجزية .. وما اكثر الجائعين للحرام في بلدنا...

أصبحت صورة مجسدة لدكتور جيكل ومستر هايد .. في الصباح انا المدرسة الرزينة الهادئة التي تعلّم الأطفال القراءة والكتابة ،، وتغرس فيهم الأدب والأخلاق ... يا لسخرية القدر .. كيف يقولون أن فاقد الشيء لا يعطيه؟؟ أنا افتقد لكل هذه القيم .. لكنني اغرسها كل صباح في عقول تلاميذي الصغار...

كانت حجة إعطائي دروس خصوصية للتلاميذ المقتردين في منازلهم مقنعة أمام الجميع بما فيهم أمي وأخي لتغطية خروجي اليومي وعودتي المتأخرة أحياناً .. استقل المواصلات العامة من الشارع أمام الجميع .. فتاة محترمة كادحة تساعد أمها بالعمل

الإضافي .. ارتدي ملابس محتشمة واضع الطرحة على رأسي ..
احتضن كتب ودفاتر .. نفس خائفة .. وروح ميتة .. انزل في مكان
بعيد لا يعرفني فيه أحد ... وبنفس هيئتي اقف في اقرب رصيف
بانتظار

الزبائن ... اختارهم حسب نوع السيارة وشكلها .. وعندما احدد
هدي في القادم من بعيد أظل ساكنة شأني شأن بقية المبعثرين على
طول الشارع بانتظار وسيلة مواصلات ..
ظلت فترة طويلة أسأل نفسي لماذا تتخطى السيارات بقية الناس
وتأتي لتقف أمامي؟؟ فأنا لا أبدو مختلفة عنهم؟؟!! وفي يوم من
الأيام تجرأت وسالت أحد زبائني الذي التقيته صدفة وبنفس
الطريقة المعتادة .. عادل السوداني الذي يحمل جواز أمريكي ..
في بداية الأربعين ترك زوجته الأمريكية هناك وأتى لقضاء إجازة
وسط أهله بعد غياب دام خمسة عشر عاماً متواصلة قضاها في
جمع الدولارات وتعلم فنون ممارسة الحب .. كان شبقاً وبدخله
جوع غريب لا يشبع .. اعتاد حيل الغرب فارهقني .. وعندما
اعتدت عليه أعطاني متعة لم أتخيل وجودها .. وكنت أحيانا أحس
بالذنب لأنني أتقاضى أجرا مقابل ما يمنحني إياه .. الفرق بينه
وبين الآخرين انه كان يتحدث .. نعم يتحدث معي كإنسانة بغض
النظر عن مهنتي التي أمارسها .. غالبية الرجال لا يكون تبادل
الحديث من أولوياتهم بقدر تبادل اللمسات .. أما عادل ومنذ أول
لقاء تكلم قبل أن يلمس .. وعندما أصّر على تكرار اللقاء لم أمانع
لثلاثة أسباب .. سخاؤه .. حديثه .. وبراعته ... بعد اللقاء الثالث
سألته ما السبب الذي دفعه لإيقاف سيارته لي أنا بالتحديد دوناً
عن بقية الفتيات الأخريات؟؟ كيف عرف من أكون؟؟ أجابني
بضحكة مجلجلة وصراحة مؤلمة " يا ابتسام ما تزعلي مني لكن

انتوا بتتعارفوا بالإحساس .. عندكم جو معين بيحيط بكم .. زي
الكانوا جسمكم بيفرز ريحة خاصة إحنا بس البنقدر نلقطها ..
نظراتكم بتكون مختلفة عن باقي البنات .. حتى طريقة وقفكم ..
سمعتي عن حاجة اسمها لغة الجسد؟؟ اهو انتو بتملكوا اللغة دي
.. انتو حتى لو الواحدة منكم لابسة خيمة مغطياها من رأسها
لرجليها لكن ريحتها وكل حته من جسمها بتقول أنا كدة .. تعالوا
لي " وكان تفسيره مقتعاً..

قبل عودته إلى أمريكا بيوم .. أصر على قضاء طيلة اليوم معي ..
كانت حصيلتي في نهايته ثلاثمائة دولار ومشية غريبة علقتها
للجميع بتعثري والتواء قدمي مما جعل المشي عصياً .. عندما هم
بالمغادرة ذلك اليوم احتواني بين ذراعيه وطبع قبلة عميقة على
شفتي وهمس في أذني " تعرفي يا ابتسام لو ما كنتي كدة انا كنت
عرستك .. انتي اول بت سودانية تديني المتعة دي "
وهمست في أذنه بسخرية " وتعرف يا عادل أنا لو ما كنت كدة ما
كنت قابلتني ..ولا عرفتني ولا اديتك أي إحساس"

السبت 7 أكتوبر .. الخامسة مساء...

اليوم اجري استعدادات خاصة للخروج .. لدى أحد زبائني
المتخمين بالمال حفل صغير مع ضيوف أجانب في منزله ويود أن
يقدم لهم صورة مختلفة عن المرأة السودانية التي يسمعون عنها
او يرونها في القنوات وهي ترتدي الريش والتمايم كأنها خرجت

لتوها من إحدى الغابات .. أتت أمي الحبيبة وهي تحمل كوب
الشاي بالحليب " بسمه اشربي شايك قبل ما تمرقي عشان رأسك
ما يوجعك .. قلتي الليلة عندك طلبه كتار وحتتأخري " كان
حنانها يمزقني .. وغفلتها تعذبني...

"يا بسمه أمير أخوك قال محتاج مبلغ كدة .. طالع مع أصحابه
يوم الخميس وما عاوز يمشي أيده فاضية " .. نظرت إلى أمي
بطرف خفي .. تدليلها الزائد لشقيقي الأصغر كان عاملاً فعلاً في
استمرار عطالته .. وتلبيتها لجميع طلباته خلقت منه انساناً انانياً
لا مبالياً واعتماده على توفر المال كلما احتاج له قتل داخله روح
الطموح والرغبة في العمل..

"حاضر يا أمي .. عاوز كم؟؟ ردت أمي بخفوت " قال عاوز
تلاتين الف " ورددت عليها بانزعاج " تلاتين الف عشان يطلع
مع اصحابه؟؟؟ ليه اصلهم ماشيين وين؟؟ وازداد خفوت صوت
أمي " والله يا بتي ما عارفة لكن هو قال محرج منهم كل مرة
يدفعوا ليه .. والمرة دي هو عاوز يدفع .. أنا ما عاوزة اتقل
عليك عارفك شقيانة عشان تساعديني لكن انا والله ما عندي ..
لو عندي ما كنت جيتك " وكى لا أرى النظرة المنكسرة في
عينها ولا نبرة الاستعطاف في صوتها أومأت موافقة " حاضر يا
أمي قبل الخميس بادية القروش " لا يا بسمه انتي اديني ليها
وانا باديتها ليه باقي أخوك بيخجل يشيل منك انتي " وابتسمت
وأنا أفكر... ما اجمل خجله؟؟!!

الجمعة 13 أكتوبر...

هل تؤمنون بالخرافات؟؟ .. يقال انه لو صادف يوم الجمعة تاريخ
الثالث عشر فهذا نذير شؤم .. فيما يخصني كان يوم الشؤم

بالأمس .. واليوم مجرد استمرار له .. بالأمس خرجت عن ترتيب
مسبق خلافاً لبقية الأيام التي اختار فيها زبائني بعشوائية ... أحد
زبائن الأسبوع الماضي شاب في مقتبل العشرينات التقيته مرة
أخرى أثناء وقفتي المعتادة واخبرني انه أتى خصيصاً للبحث عني
.. يبدو أن الدروس التي لقنني اياها عادل قد حسنت كثيراً من
قدرتي في توفير المتعة والإشباع لهذه الأجساد الجائعة .. في
نهاية اللقاء اخبرني برغبته في لقاء آخر يوم الخميس حيث
يجتمع هو وأصدقاؤه في منزل أحدهم لاقامة حفل صغير بلا
مناسبة محددة .. وسوف يجلب كل منهم فتاته .. وطلب أن أرافقه

...

كان منزلاً جميلاً في أحد الأحياء الراقية .. غياب الأسرة خارج
البلاد في إجازة أعطى ابنهم الحرية في استقبال أصدقاؤه ...
عندما دخلت دهشت من كمية النساء والفتيات الموجودات ..
بعضهن يصغرن أُمي بسنوات قليلة مع فارق نقوش الحناء
ورائحة البخور الطاغية .. والضحكات الخليعة .. همس لي رفيقي
بان بعض أصدقاءهم يفضلون النساء كبيرات السن لأنهن يمتلكن
الخبرة وأشياء أخرى لا نملكهما نحن الصغيرات غير المتزوجات
.. وعلى النقيض كانت هناك فتيات تخطين مرحلة الطفولة بقليل

..

بعد الأكل والشراب وفواصل من الرقص بكل اللغات .. تهاوت
الأجساد وأوى كل إلى مكان يتيح له فعل ما يريد .. كان العدد
كبيراً لذلك توزع البعض في أركان الصالة الفسيحة على الكنبات
وفي الأرض .. كل في عالمه ولا يعي بما يدور حوله ... انعدم
الحياء وانهارت الحواجز .. كنت في طرف قصي من الصالة
أحاول أن أجد وضعاً مريحاً في الكرسي المنخفض ويساعدني
رفيقي بقلّة صبر واضحة ... فجأة شعرت بيد ثقيلة تهوي على

رقبتي وتشدني من شعري .. وانهالت الصفعات .. ثم أتاني صوت
أمير المبحوح من الغضب والدهشة " قوم منها يا قوم منها
يا ود ال واصبحت ركلاته موجعة وأنا أحاول إخفاء وجهي
بيدي .. وفي اللحظة التالية هب شريكي الغاضب من انقطاع
متعته وبدا بضرب أخي وسادت الفوضى .. تعالت الصرخات
وتكالب جميع الأصدقاء على ضرب هذا الغريب الذي تجرا وعكر
صفو الجلسة .. كل بما طالته يده أو قدمه .. كنت انظر برعب
للدماء التي بدأت تتفجر من رأسه ووجهه وكل مكان فيه ..
وسمعتة يهمس بكل قوة يمتلكها وهو يصارع لصد الضربات
المؤلمة " دي أختي ... دي أختي ... دي أختي " وجم الجميع
عند سماعهم لهمسه المصبوغ بالدم واتجهت النظرات اليّ وأنا
أحاول لملمة ثيابي لتغطي جسدي شبه العاري ... وسألني شريك
الشؤم " صحي دة أخوك؟؟ " هزرت رأسي إيجابا بعد أن
التصقت حبالى الصوتية بسقف حلقي .. واتى سؤال من بعيد " يا
جماعة الزول دة جا مع منو؟؟ " فرد أحدهم وهو يشق الجمع
كي يصل إلى الجسد المصبوغ باللون الأحمر .. وقد توقفت حركته
" يا جماعة دة صاحبي وأنا عزمته ما كنت متخيل يلاقي اختو هنا
"

رد آخر ببرود وسخرية " الزمن دة تتخيل أي شئ .. وشنو يعني
اختو؟؟! ما ديل كلهم اخوات ناس!! ولا شنو؟؟!! ... الله يعكر
دمه .. عكر علينا قعدتنا .. قوموا شيلوه وارموه قدام أي
مستشفى احسن يموت هنا ونبقى في المشاكل "

كنت حريصة أن يجد أخي الرعاية الطبية اللازمة فألححت على
شريكي الغاضب أخذه بسيارته ووضعناه أمام المستشفى وجلست
بعيداً أرقب الأصوات المتحسرة والأيدي المساعدة وهي تنقله
داخل المستشفى..

دفترى الحبيب ربما تكون هذه آخر مرة نلتقي .. لا ادري ما قد يحدث إن تعافى أخى وفضح سري .. مشاعري ممزقة بين رغبتى فى شفاؤه لاجل خاطر أمى التى لم تذق طعم النوم منذ ليلة أمس وبين خوفى على نفسى ..

لقد تطوع شريكى بعد إلحاح شديد منى للاتصال بهاتف الجيران وطلب أمى لإخبارها أن أخى تعرض لحادث سيارة نقل على أثره إلى المستشفى .. جرتنى وراءها لزيارته .. وارتاحت خطواتى الخائفة عندما رايتته ما زال غائباً عن الوعي .. كلمات الطبيب زرعت الطمأنينة فى نفسى والنار فى قلب أمى " والله يا حجة ولدك اتعرض لضربة قوية شديدة ونزف دم كثير .. عنده ارتجاج حاد فى المخ واربعة ضلوع مكسورة وفى عين اتضررت لغاية الآن ما قادرين نعرف وضعها بالضبط شنو ... لو بكرة حالته استقرت حيكون اتعدى مرحلة الخطر انتى بس ادعى ليه والله كريم قادر يشفيه "

ما زالت أمى تبكى وتدعو له بالشفاء .. وأنا ابكى ودعائى يتأرجح بين شفاؤه .. وطلب الستر بأي طريقة .. ولكن أليست الطريقة الوحيدة لضمان ستري ... هي موته؟؟ ...

قصاصة سرية من دفتر يوميات فتاة متمرده

كيف يصبح الإنسان متمرداً على كل ما حوله ومن حوله؟؟ هل التمرد صفة تولد معنا وتظل كامنة فينا حتى تأتى الظروف التى تفجرها؟؟ أم هي صفة مكتسبة من بيئتنا التى نعيش فيها ونتعامل بها لرفض واقع نرفضه ونجبر عليه؟؟
بدأ تمردي منذ سن السابعة .. ربما تندهشون لأننى كتبت السابعة وليس السابعة عشرة .. لكنها الحقيقة فعندما وصلت تلك السن كان الصراع الدائر بين أمى وأبى بشأنى قد وصل مداه .. وكى لا

أشوش تفكيركم سوف أقص عليكم خلفية الأطراف كلها حتى
تكتمل الصورة في خيالكم...

أبي السوداني الأصل يحمل الهوية الهولندية منذ عام 1986م بعد
أن أتى طالباً للجوء إلى بلد أمي قبلها بسنة .. أمي الهولندية
بأصول فرنسية وألمانية كانت تعمل في مكتب شئون اللاجئين
وكلفت بمتابعة ملفات السودانيين .. تدريجياً وقعت في غرام هذا
الأفريقي الأسمر الذي يحمل نداء الغابة في عينيه وتحفز النمر
في حركات جسده .. وغموض أسر في صوته وكأنه آت من عالم
آخر يبدو بعيداً بالنسبة لهذه المخلوقة الشاحبة من شدة البياض
مع شعر أشقر ذهبي وعينان بلون العشب الأخضر .. سحرها هذا
البدائي العملاق .. وقبل أن تبت الحكومة في قبول أو رفض طلبه
.. أعطته أمي حق اللجوء الى قلبها فمنحته الإقامة والجواز
الهولندي...

في بداية عام 1987م .. أتيت أنا إلى الوجود .. طفلة ساحرة
تحمل لون كوب من الحليب أضيفت إليه قطرات من القهوة
السوداء .. تجلت غرابة شكلي منذ اللحظة التي فتحت فيها عيني
الكبيرتين لتشع وسط وجهي البرونزي ببريق يحمل لون السماء
الصفافية ففرحت به أمي لانه يذكرها بجدها الألمانية .. كان هناك
رغب بني ناعم تتخلله خصلات ذهبية يملأ رأسي المستدير ..
حملت اسم ياسمين .. فهو اسم عربي ويحبه الغرب .. سيكون
مألوفاً وسهل النطق .. نشأت في منزل ملئ بالحب والاستقرار ..
وبعد وصول أخي الصغير عندما بلغت الثالثة من عمري بدأت
بذرة الخلافات بين الزوجين المحبين .. أرادت أمي اسماً لا يجعل
من أخي أضحوكة بين أقرانه ولا يعرضه لعنصرية الوسط الذي
سيعيش فيه عندما يكبر .. أراد أبي اسماً يثبت به عروبتة التي
تخلى عنها بمحض إرادته .. واسلامه الذي تمسك به برغم

محاولات أمي المستميتة لجعله ينساه ... استخدمت أمي سلاح
الدموع والمقاطعة لفرض إرادتها .. وهما سلاح فعال للتأثير في
قلب رجل محب .. فحمل أخي اسم مزدوج مايكل محمد .. وخلال
فترة قصيرة كانت أمي قد طمست الاسم الثاني وأصبح أخي مايكل
فقط...

كان أبي رجلاً حنوناً .. ذكياً .. مرحاً .. برغم كل شيء يحمل ولاء
لا حدود له لوطنه الأول اعتاد أن يجلسني في ركبتيه كل مساء
ويحكي لي قصصاً عن السودان وباللهجة السودانية الدارجية ..
فنشأت وأنا أعرف الكثير عن بلد أبي .. أسماء جدي وجدتي ..
أعمامي وعماتي أسماء أبناءهم ... كانت هذه الحكايات هي
قصصي المفضلة لما قبل النوم كل ليلة .. وعندما أصبحت في
الخامسة حفظت عن ظهر قلب خريطة السودان بأسماء المدن
والأنهار .. وكنت أرسم الطريق بإصبعي الصغير إلى مدينة أبو
حمد مسقط رأس أبي..

لم يكن هذا الأمر يروق لأمي فحاولت منع أبي من غرس هذه
المعلومات في رأسي .. لكنها لم تفجح لان الصغيرة المفتونة
بأبيها وقصصه كانت تطلب المزيد .. أتى رد فعل أمي مباشراً
وصريحاً .. تركتني لأبي وجعلت مايكل عالمها الخاص الذي لا
ينافسها فيه أحد .. خصوصاً وأنه ورث عنها بياضها الشاحب ..
شعرها الذهبي .. والعيون بلون العشب ... بمرور الوقت أضحت
بيتنا معسكر مقسوم بحدود غير مرئية .. وقّع أبي وامي اتفاق
ضمني بأن لا يتعدى أحدهما منطقة الآخر..

ظلت أمي ترفض بشدة محاولات أبي تلقيني تعاليم الدين الاسلامي
.. كانت تطالب بأن اعطى حق الاختيار لاتباع دينه او دينها عندا

اصل السن التي تتيح لي المعرفة والاختيار .. اصر ابي على موقفه .. واصرت امي .. وبدأت حرب معلنة بين الطرفين انحاز فيها مايكل تلقائيا لامي .. وكنت انا حزينة وخائفة ومرتبكة مما يحدث .. وصلت الخلافات ذروتها عند بلوغي الصف الثالث الابتدائي كنت حينها في السابعة .. ووقتها بدا تمردي ... في ليلة ارتفع فيها صراخ ابي وعويل امي .. نزلت من غرفتي الى غرفتهما في الطابق الارضي .. فتحت الباب دون ان اقرعه وقفت بهدوء اتطلع الى نظراتهما المندهشة من تصرفي .. واخبرتهما بقراري .. انا لن اتبع ديانة أي منهما .. لقد قررت ان اكون لادينية حتى يكفا عن الجدال بشاني .. واذا استمرت حربهما سوف اخبر الاخصائية الاجتماعية في مدرستي عن عدم ارتياحي في منزلي .. كان تهديدي فعالا .. فهما يدركان معنى ان اخبر سلطة رسمية عن حربهما المتواصلة وقد يصل الامر الى اخذي منهما ووضعني تحت حماية الدولة .. بعدها كتم الخوف الافواه .. اختفت الخلافات .. واختفت معها ايضا الرابطة الحميمة التي كانت تجمعني بابي .. لكنه ما زال مصرا على اجراء أي حوار بيننا باللهجة السودانية التي رفضها مايكل بشدة .. كما رفض اسم محمد قبلها..

في العاشرة من عمري كنت اجمل طفلة في المنطقة .. امتزاج جينات ابي وامي افرز خليطا مثيرا للانتباه .. وقتها عرفت معنى ان يكون لي صديق خاص (بوي فريند) اصبتكم بالدهشة مرة اخرى؟؟ لا تتدهشوا فهذا شئ متعارف عليه في بلدي لكنه كان نقطة خلاف جديدة بين ابي المعارض لنشوء علاقة مع الاولاد في

هذه السن المبكرة حتى لو كانت برئية وامي المؤيدة للامر وترى انه تطور طبيعي في شخصيتي وخطوة ضرورية تمهد لانتقالي من مرحلة الطفولة الى مرحلة المراهقة .. وتمردت عليهما معا.. اتخذت صديقا تمردا على تحفظات ابي .. وكان عربيا مسلما تمردا على رغبات امي .. وجن جنونهما معا ولكن لاسباب مختلفة ...

اتسعت الهوة بين افراد عائلتي .. اصبح ما يربطنا فقط عنوان المنزل المشترك .. عندما وصلت الرابعة عشرة بدأت امي تفكر بالطلاق .. اخبرت ابي برغبتها فرفض بشدة خوفا من فقداني انا تحديدا لان مايكل وقتها كان قد قطع شوطا طويلا في طريق الضياع .. في الحادية عشرة من عمره اصبح صبيا عصبيا وقحا وعنيفا ... حلق شعر راسه ووشم الصليب المعقوف على ذراعه .. كان يكره ابي بسبب لونه ودينه واصوله العرقية .. ويكره امي لانها تزوجت بابي .. ويكرهني لاني احمل ملامحهما معا .. في السادسة عشرة رفعت امي دعوى طلاق امام المحكمة .. ورفعت انا عن نفسي عبء العذرية التي لازمتني طيلة حياتي السابقة .. منحتها عن طيب خاطر الى سامي صديقي العربي المسلم الهجين الذي كان يكبرني بعامين .. يومها عدت الى المنزل حيث العراك اليومي بين امي وابي ومايكل .. وقفت انظر اليهما فترة وهم يتبادلون السباب .. ابي باللغة الهولندية واحيانا بالعربية التي تفهمها امي وان كانت تنكر ذلك .. امي ترد عليه بخليط من الهولندية والالمانية .. بينما يصر مايكل على الالمانية التي لا يتقنها ابي .. وفي لحظة صمت نادرة اخبرتهم بانني قد فقدت عذريتي .. صرخت امي وسقطت على الارض لعلمها بعلاقتي مع العربي القذر كما كانت تدعوه .. كاد ابي يصاب بنوبة

قلبية .. اما مايكل فقد بصق على الارض بين قدمي وهو يسبني
بكلمات لو كتبتها هنا لتوقفتن عن قراءة بقية يومياتي...

مر اسبوع هادئ على بيتنا وكأن اعلاني قد اصاب الجميع بالبحر
.. كان ابي صامتا وتبدو عليه علامات التفكير العميق .. امي
غاضبة وباكية .. مايكل ليس له اثر في المنزل .. الاسبوع الذي
يليه كان غريبا .. بدا وكأن ابي يسعى الى ترميم علاقته المدمرة
مع امي ويحاول ان يسترضيها .. كما بدا يكلمني بنضج وكأنه
اكتشف فجأة ان ابنته الصغيرة قد اصبحت امرأة .. وفي جلسة
نادرة جمعتنا نحن الثلاثة فجر اقتراحه القنبلة .. طلب من امي ان
يفترقا بلا طلاق لفترة معينة يعيدا فيها تقييم علاقتهما .. ان كانت
بعدها ما مصممة على الطلاق فسوف يمنحها حريتها بلا مشاكل
... كانت الغرابة تكمن في انه يرغب خلال هذه الفترة في العودة
الى وطنه .. السودان .. وان يصطحبني معه فترة اجازتي
الدراسية التي تبلغ خمسة وثلاثون يوماً ... لم تعجبني فكرة
مغادرة موطني والذهاب الى بلد غريب والبقاء وسط غرباء طيلة
هذه الفترة .. وترددت امي في قبول عرضه .. وهنا تجلى ذكاء
ابي حيث ظل يلوح لها بجزرة الطلاق بالتراضي مما جعلها تلين
من تصلبها وتوافق شريطة موافقتي انا على الذهاب معه .. وفي
جلسة طويلة استغرقت ساعات ظل ابي يحفر ذاكرتي ويستخرج
منها كل القصص الجميلة التي سمعتها عن بلده وانا صغيرة ..
اعادني الى ايام احببتها .. الى الفترة الوحيدة التي شعرت فيها
انني اعيش وسط عائلة طبيعية وليس في ساحة حرب .. ظل
يغريني بالجو الجميل والشمس الساطعة مقارنة بجو هولندا الغائم
القاتم .. حدثني عن جدتي التي تتمنى رؤيتي قبل موتها .. عن

اعمامي وعماتي .. كانت كلماته الاخيرة المعول الذي هدم به آخر
حصون مقاومتي

"ياسمين انا باحاول اصلح حياتنا عشان اسرتنا ترجع زي اول
واحسن كمان .. محتاج مساعدتك ..لازم نخلي امك براها عشان
تفكر بدون ضغوط .. وما شرط نقعد هناك اجازتك كلها ..

صدقيني لو الوضع ما عجبك طوالي حنرجع "
انا من شعب يؤمن بالوعود .. يصدقها ويفي بها .. لذلك حزمت
حقائبي وذهبت مع ابي الى بلده على امل ان تكون هذه اولى
الخطوات في اصلاح حال عائلتنا التعيسة..

في مطار الخرطوم المتهالك استقبلتني شمس مشرقة وحرارة
لافحة فكانت علامة ترحيب جيدة .. اثناء دخولي الى الصالة
احاطتني النظرات المعجبة المدهشة من ملامحي المتناقضة ..
في هذه السن كانت الجينات الأفريقية قد لعبت دورها فاصبحت
امتلك جسد امرأة ناضجة .. قامة طويلة وبشرة بلون البرونز ..
شعر طويل متموج في حلقات لولبية تمازج فيه البني والذهبي
بترتيب الهي بديع .. كانت عيناى السماويتان تتطلعان بفضول في
الوجوه والمناظر .. صدمني شكل المطار فهو يفتقر للجمال
والنظافة مقارنة مع مطار امستردام الفخم .. تمت الإجراءات
بسهولة وخرجنا تتابعني النظرات والابتسامات والهمسات .. كان
أبي صامتا بشكل يدعو للريبة ويبدو انه قد أجرى اتصالاته قبل
وصولنا .. ما ان خرجنا حتى هرول الينا رجل في اواسط العمر
يرتدي ما يشبه الزي الرسمي وحمل أمتعنا الى سيارة لاندكروزر
حديثه ..

كانت رحلة طويلة استغرقت نصف اليوم او اكثر لم تتوقف فيها
السيارة إلا للتزود بالوقود او شراء الطعام والماء .. أحسست
بالخوف والتعب والغربة وصمت أبى لم يساعدني في التغلب على
أي منها .. شغلت نفسي باللعب في كمبيوترى المحمول الذي
أصررت على إحضاره معي .. ففيه كل عناوين أصدقائي في
هولندا .. صور أمي ومايكل .. مذكراتي .. أغاني المفضلة .. كل
ما احتاجه موجود داخله ..

يبدو لي ان جو السيارة المكيف والهدوء الذي لا يقطعه الا صوت
قرآن خافت جعلني أغفو .. استيقظت على يد تهزني برفق
لاكتشف ان السيارة توقفت في منطقة سكنية تحيط بها الصحراء
.. نزل ابى امام منزل متواضع غريب الشكل .. لك يكن الباب
مغلقاً فدفعه ودخل وأنا اتبعه بخوف ... رأيت أمامي مساحة
شاسعة أرضها تراب وفي نهايتها يوجد مبنى وحيد غريب الطراز
..

بدا الاستقبال بصرخة أطلقتها امرأة خرجت من المبنى الصغير ..
فتبعها آخرون .. وفجأة وجدنا أنفسنا وسط دائرة من البشر الذين
يكونون ويضحكون في آن واحد .. وعلى أصواتهم المتنافرة
تدافعت جموع اخرى من الباب المفتوح حتى امتلأت الساحة
بطوفان من البشر .. كان ابى يتنقل من ذراع لآخر باكياً بصوت
عال فيما بدا لي وكأنه كابوس لن ينتهي .. واخيراً تنبه البعض
لوجودي فسالت اكبر النساء سناً " دي منو يا سعيد ؟؟ " كانت
لهجة ابى مزيجا من الفخر والحزن " دي ياسمين بتي يا امي "
وانطلقت الصرخات مرة أخرى واتى دورى في التنقل من حضن
لاخر .. لم يتركونى الا بعد ان شارفت على الإغماء ...
ليلتها اختبرت اغرب تجربة في حياتي .. النوم في العراء وتحت
السماء مباشرة .. ظلت مستيقظة فترة طويلة وأنا ارقب النجوم

وهي تدنو مني وتبتعد عني حتى خيل الي في لحظات أنني
أستطيع إمساكها بيدي .. كنت أدرك إنها خيالات عقلي المرهق
لكنني أحببتها في اليوم التالي اختبرت تجربة أخرى لا تقل غرابة
عن الأولى لكنها مفزعة .. تم ذبح عدد من الخراف بوحشية بالغة
بدعوى الترحيب بنا .. عزفت عن الأكل لمدة يومين حتى تفهم
أبي مشكلتي واصبحت الخضراوات طعامي الرسمي...

كانت رؤيتي تثير دهشة كل من يراني .. ثم يتبعها الفرح عند
سماع لهجتي السودانية الطلقة .. قابلت أعداد هائلة من البشر ..
مر أسبوع من السلام الغريب عن طريق هز الذراع بقوة او
الاحتضان بعنف وعانيت في نهايته من ألم حاد في ذراعي اليمين
... في الأسبوع الثاني لحضورنا اختفى كمبيوتري المحمول
بصورة غامضة من الغرفة التي خصصت لي وحدي بعد أن
رفضت بصورة قاطعة مشاركة أي كان خصوصيتي التي اعتدتها
منذ طفولتي .. علل أبي الاختفاء بان لصا قد سطا على المنزل
وسرقه اللابتوب مما أثار حيرتي .. لماذا يسرق لصا فقط
كمبيوتري ويترك بقية أغراضي ومن بينها أشياء قيمة وغالية
الثلث؟؟ وعدني أبي بالبحث عنه فسكت على مضض .. لكن
عندما اختفى جواز سفري وكل أوراقى الثبوتية من الدولاب
أدركت ان هناك شيئا ما يحدث حولي .. شيئا غامضا يستهدفني ..
فواجهت أبى بشكوكي ... ويا لها من مواجهة...

"ياسمين .. انسي هولندا تماما .. انسي أمك ومايكل .. من هنا
وجاي دي بلدك ودة بيتك وديل اهلك " احتدم النقاش وارتفع
صوتي وانا ادعوه بالكاذب المحتمل فما كان منه الا ان صفعني
بقوة .. كانت هذه اول مرة يضربني فيها ابي .. لكنها لم تكن
الاخيرة...

حبست نفسي في غرفتي وبما انه لم يكن هناك قفل في الباب

القديم .. قمت بوضع كرسي وراءه ورفضت الأكل والكلام .. في
اليوم الثالث كسر ابي الباب ونقلني الى المستشفى لمعالجتي من
الهبوط والجفاف .. اعتنى بي الجميع بعد عودتي لكنني لم
أتجاوب معهم فقد كنت اشعر بكراهية شديدة لكل من حولي ..
كنت أفكر في مدى صحة كلمات امي .. هؤلاء العرب القذرين لا
يعرفون شيئا عن الوفاء بالوعود.. يدعون ان دينهم يمنعهم
الكذب ويكذبون كما يتنفسون .. ارغب بالعودة الى وطني ..
ارغب بالعودة الى امي ومايكل فبرغم كل شيء هم لا يكذبون...
بت أكل فقط ما يعينني على البقاء حية وبعيدة عن المستشفى
والتزمت الصمت التام برغم محاولات جدتي العجوز وعمتي التي
تكبرني بثمانية اعوام ... مرت شهور توقفت عن عداها .. ففي
مدينة مثل ابو حمد تتشابه اللحظات والدقائق والساعات كنت
خلال هذه الفترة قد اكملت عامي السادس عشر .. وقتها فكر ابي
ان علاجي الوحيد سوف يكون تزويجي حتى يقطع كل الجسور
التي تربطني ببلدي وتبقيني هنا .. وتوافد الراغبون عندما علموا
برغبة ابي وما كان اكثرهم .. جميع شباب المنطقة تقريباً تدافعوا
للحصول على هذه المخلوقة الهجين بجمالها الغريب .. اخيراً وافق
ابي على ابن عمي الذي يكبرني بتسعة عشر عاما .. اتاني مهددا
بانه سوف يذبحني كما ذبحت الخراف عند حضورنا ويدفني في
صحراء ابو حمد ان انا رفضت الزواج .. اخبرته بموافقتي
شريطة ان يتم العقد بوجودي وواقع على السجل بخط يدي ..
استغرب طلبي ولكن فرحته الكبيرة بموافقتي السريعة جعلته
يرضخ لما اريد .. حددت مواعيد العقد يوم الخميس على ان يتم
الزواج بعد شهر حينما تكتمل عملية تحويلي الى امراة سودانية
كاملة وحرقت الجزء الهولندي في حفرة الدخان التي اعدت
خصيصا لهذا الغرض...

يوم العقد البستاني عمتي الثوب السوداني بعد جهد كبير وثبتته
بكيمة من الدبابيس حتى لا بنفرط عقده امام الرجال .. دخلت
وجلست بهدوء والعريس المرتقب يرمقني بنظرات متلهفة فرحة
.. انتظرت حتى وصل المادون لنقطة البكر ثم القيت قنبلتي في
وجه ابي وعريسي وكل الحضور .. اعلنت بصوت واضح ولهجة
سودانية صميمة بانني لست بكراً واخبرتهم بفقداني لعذريتي مع
صديقي منذ عام .. وان ابي على علم بهذا الامر..
كانت فضيحة مدوية تكلمت عنها ابو حمد لفترة طويلة نلت
بسببها ضربا مبرحا من ابي الحائق ونلت ايضا اعفاء من هذا
الزواج المفروض عليّ وترحيلي من ابو حمد التي اصبحت جحيما
لا يطاق من الغمزات المتبادلة في أي مكان يرتاده ابي ..
تم سجنني في شقة مفروشة باحد الاحياء الجديدة في العاصمة بلا
أي وسيلة اتصال بالعالم الخارجي .. لم احاول الاستغاثة .. فانا
في بلده .. والقانون في صفه .. املي الوحيد هو ايجاد وسيلة
للاتصال بالقنصلية الهولندية .. هذا الامل المستحيل..
كان ابي يغيب لساعات طويلة .. احيانا طيلة النهار وجزء من
الليل .. حتى ايقنت انه يتفادى البقاء بمفرده معي حتى لا تستعديه
نظراتي اللائمة على ضميره النائم ولا تذكره ملامحي الشاحبة
بافعاله القبيحة ... تأمر ضدي الصمت والعزلة والاحساس بالظلم
وبدات اهوي في بئر عميق من الياس واحسست بانني اكاد افقد
عقلي .. وفي ليلة طال فيها غياب ابي قررت ان حياتي ليس فيها
ما يستحق ان اعيش من اجله ان كانت ستمر على نفس الوتيرة
.. احضرت موس الحلاقة من الحمام وزينت معصمي بخططين
رفيعين لكنهما يكفيان لاستلاب روعي المعذبة .. جلست بهدوء
وانا انظر الى دمي يسيل ويملا الارض حولي .. عندما فتح ابي
الباب بعد فترة قصيرة كنت لا ازال في وعيي احمق في البقعة

الداكنة التي بدأت تتكون تحت قدمي .. نظرت الي وجهه المفزوع
بشماتة وتشف .. وعندما بدا ركضه اليأس نحوي وهو يصرخ ..
غبت عن الوعي..

فتحت عيناى في غرفة بيضاء انظف من تلك التي كنت فيها في
ابو حمد .. طالعني وجه ابي الباكي ونظراته القلقة التي ذكرتني
برجل كنت اعرفه في زمن مضى .. رجل اعتدت الجلوس على
ركبتيه وسماع حكاياته عن وطن صار لي سجنًا وجحيماً .. لم
احس بالشفقة تجاهه ولا الحزن ولا أي شئ .. مجرد فراغ سكنني
بعنفوان .. علمت انني احتجت لكمية كبيرة من الدم لتعويض ما
فقدته .. وان ابي اعطاني دمه ..

جاءت الشرطة للتحقيق في محاولة الانتحار والتزمت الصمت
التام فغلل ابي الامر بعدم معرفتي للغة العربية .. واخرج لهم
جوازي الهولندي .. اخبرهم بانى احس بالغربة والحنين الى بلدي
واهلي .. فتركوني ومضوا..

عند خروجي من المستشفى اخذني ابي مباشرة الى المطار ..
سلمني جواز سفري .. كمبيوترى .. وتذكرة العودة .. بكلمات
حزينة هامسة ودعني وانا مشيخة بوجهي الى الاتجاه المعاكس
.. " ياسمين .. يمكن هسة ما تفهمي انا عملت كدة ليه .. لكن
حيجي يوم وتفهمي لما تتزوجي ويبقى عندك اطفال تحسي انك
ممكن تعملي أي حاجة في الدنيا عشان تحميهم من أي شئ ..
حتى من نفسهم لو استدعى الامر .. انتي حنة منى يا ياسمين ..
حبك اترزع جواى من اول لحظة فتحتي فيها عيونك في
المستشفى .. انا عملت كدة لانى عرفت من زمان انى ضيعت
مايكل .. وكنتي انتي الباقية لي .. كنت عاوز احافظ عليك واحميك

من حياة غلط .. لكن واضح انو انا الكنت غلط من البداية .. من
يوم ما اتزوجت امك .. حاولي تسامحيني .. حاولي تفهمي
وتتفهمي " تعالى نداء طائرة الخطوط الجوية الهولندية معلنا
دخول الركاب .. غطيت معصمي باكمامي الطويلة .. شددت
ظهري .. رفعت ذقني واتجهت الى بوابة الخروج دون نظرة الى
الوراء...

فبراير 2006م...

اصبحت في التاسعة عشرة .. انتقلت من امستردام الى مدينة
صغيرة .. اعيش وحيدة في شقة خاصة بي واعمل في مجال
الدعاية والاعلان .. خارج نطاق العمل اعيش كقط بري لا يألف
الناس ولا يتعايش معهم .. اصد كل محاولات التقرب وارفض
العلاقات الاجتماعية .. في الليالي الطويلة الباردة التي يجافيني
فيها النوم .. اغمض عيني واسترجع ذكرى سماء تغطيني
ونجوم تدنو وتبتعد .. وفي لحظات اكاد اقسام بانني اشم عبير
الصحراء ومن وراء التلال يتراءى لي وجه حزين يطالبني
بالتفهم والغفران .. وجه لكيان احمله داخلي طباعا وملامح ..
في احدى المرات صورت اعلانا وضع في غلاف مجلة مشهورة
.. كتب احد النقاد معلقاً على شكلي الغريب " يا له من جمال فريد
.. في عينيها نداء الغابة .. وفي حركاتها توثب نمر افريقي ..
يحيط بها جو من الغموض وكأنها من عالم آخر ..
ارسلت المجلة بالبريد الى عنوان ابي في ابو حمد .. اتمنى ان
تكون قد وصلتته...

قصاصة سرية من دفتر يوميات فتاة معقدة

أنا معقدة .. نعم اعترف بهذا الأمر .. وهي صفة تم زرعها داخلي
ببطء وألم مع مرور كل يوم من أيام حياتي .. ومع كل تجربة
بسيطة تمر على الباقيين مرور الكرام دون أن تخلف وراءها أثرا
يبقى .. لا أستطيع أن أقي اللوم على من كانوا سبب إحساسي
بالنقص .. فأنا قد ولدت بأسباب عقدي ..

عندما حملت بي أمي كانت قد دخلت عقدها الخامس بسنة
فتغاضت عن كل الموانع اعتبارا منها بأنها قد وصلت مرحلة
الأمان من احتمال حدوث أي حمل .. حتى انقطاع دورتها
الشهرية علته بانها قد وصلت إلى سن اليأس وهذا تطور طبيعي
يحدث لكل النساء في عمرها كانت امرأة ممتلئة الجسد وكل ما
فيها مستدير لذلك لم يلفت بطنها المتكور انتباه أحد خصوصا
وإنها لم تعان من أعراض الحمل التقليدية إلا بعد وجودي داخل
أحشائها بخمسة أشهر .. عندها بدأت تعاني من ارتفاع ضغط
دمها .. التعب لاقل مجهود .. والنوم لفترات طويلة تنافست فيها
مع أختي وداد التي كانت تحمل طفلتها الثالثة منذ أربعة أشهر
ونصف وعندما تزايدت أعراض المرض على أمي حملوها إلى
الطبيب وبعد الفحوص التقليدية ظهرت النتيجة التي كانت بمثابة
قنبلة سقطت في منطقة هادئة لا حرب فيها .. فأشاعت الرعب
وملأت القلوب بالتوجس .. تباينت ردود الفعل ما بين مصدق
ومكذب ومصدوم ورافض .. وكان الأوان قد فات للتخلص من
وجودي المزعج بعد أن تخطت أمي الشهور التي يمكن فيها
إجراء عملية للتخلص من المتطفل آتية دون تعريض حياتها
للخطر فنجوت من الواد المبكر .. ويا ليتهم قتلوني وقتها .. فعدم
وجودي أرحم كثيرا من ألم حياتي الحاضرة
مرت الأيام وحمل أمي يزداد صعوبة .. وفجأة أعلنت عن وجودي

بعنفوان فاصبح بطن أمي كبالون قابل للانفجار في أي لحظة ..
بعد تجاوز الإحساس بالصدمة والخجل من الحمل في هذا العمر
المتأخر أصبحت أمي سعيدة بفكرة وجودي لانه أعاد إليها
أحاسيس كانت تظن أنها فقدتها إلى الأبد .. واصبحت تتيه على
نساء الحي بأنوثتها المثبتة ببطنها المتكور وهو يعلن بخيلاء أن
خلفه امرأة ما زالت هرموناتها تعمل بكفاءة عالية ... حتى أبي
اصبح اكثر ليانا وحنانا .. وهبة الأبوة المتأخرة جعلته يزهو وسط
أصدقائه...

أثناء فحص روتيني للجنين خلال الشهر الخامس اكتشف الطبيب
أن هناك غرابة وشذوذ في التكوين الجسدي للطفلة .. وأنها قد
تخرج للحياة بالعديد من الإعاقات وارجع الأمر إلى الحمل في سن
متأخرة إضافة إلى استعمال موانع الحمل لفترة طويلة .. تقبلت
أمي الأمر بامتثال وخضوع لارادة رب العالمين لكنها لم تستطع
إخفاء صدمتها وانفجرت بالبكاء عندما أعطوها قطعة لحم صغيرة
حمراء بملامح مطموسة مع نتوء كبير في الجهة اليمنى من
كتفها الصغير ألم أخبركم باني قد ولدت بأسباب تعقيدي ؟؟
المضحك في الأمر أن أمي قررت وبكل إصرار تسميتي " جميلة
" كأنها أرادت أن تثبت لنفسها وللآخرين إن شكلي لا يهم ..
وإنني طفلتها الجميلة في عينيها مهما كان مظهرها ..

مرت السنوات سريعة كنت خلالها اكبر يوما بيوم مع إيمان ابنة
شقيقتي وداد التي وضعتها بعدي بيومين ... فكنا كالتوأم وليس
كخالة وابنة أختها اعني توأم في الإحساس ومسار النمو وليس
في الشكل لان إيمان كانت طفلة جميلة بكل معنى الكلمة عكسي
أنا خصوصا بعد أن تركزت الحذبة في وسط ظهري مع حجم

ضئيل وقدم اقصر من الثانية بعدة مليمترات .. عدا ذلك لم اكن
أعاني من شئ .. على العكس كنت امتلك ذكاء غير عادي بالنسبة
لطفلة في عمري .. تكلمت بطلاقة في شهري الرابع عشر .. في
عمر ثلاث سنوات كنت قد حفظت جداول الضرب وقصار صور
القرآن الكريم والحروف الأبجدية العربية والإنجليزية .. كنت
تجسيد لمقولة كل ذي عاهة جبار .. مرت سنوات الدراسة بين
المتعة والعذاب .. متعة التفوق والنبوغ .. وعذاب الرسوب في
العلاقات الاجتماعية .. تميزي الأكاديمي جعلني أتخطى أقراني
بعدة سنوات فوجدت نفسي في صفوف أعلى بزميلات اكبر سنا
واكثر قسوة .. لم يعجبهم أن تأتي هذه الفتاة المعاقة لتحتل
المرتبة الأولى وتصبح نجمة المدرسة .. أحيانا كنت اسمع
همسهم وهم يصفونني بكلمة " الخلاقة " من وراء ظهري فاتالم
والعن سمعي الحاد الذي يجعلني التقط الهمس من مسافات بعيدة
في الرابعة عشرة كنت اصغر طالبة تجلس لامتحان الشهادة
السودانية .. كانت الرياضيات التخصص مادتي الأساسية ..
والأحياء مادة إضافية .. أهلني مجموعي لدخول كليتي الطب
والهندسة من أوسع الأبواب .. فاخترت كلية العلوم الرياضية
وتخصصت في الحاسب الآلي لعلمي باني سأبرع في التعامل مع
الأرقام الجامدة اكثر من براعتي مع البشر .. طيلة سنوات
الدراسة الجامعية كنت اجلس منزوية ارقب علاقات تبدا وأخرى
تنتهي .. نظرات ولهى وأخرى حزينة .. همسات ناعمة وضحكات
فرحة .. كنت أدرك أنها مشاعر لن تمر بي ولن اختبارها أبدا
وسأظل العب دور المتفرج الوحيد في مسرح المشاعر حتى آخر
يوم في عمري وكانت هيئتي سبب وحدتي ونفور الناس مني .. لم
يكن بمقدورهم النظر إلى ابعد من ظهري المحدوب أو رجلي
العرجاء ليرى جمال روحي أو صفاتي الأخرى واكتفى الجميع

بالفرجة المجانية على هذا المخلوق المشوه .. كنت أظاهر
بالتجلد والبرود أمام النظرات المشفقة أو المندهشة وعودت
نفسي على عدم الاهتمام بمن حولي من البشر ... حتى التقيته ..

كان مخلوقاً بالغ الوسامة .. دمت الخلق .. حلو المعشر .. يملك
ابتسامة لها القدرة على إذابة جليد القطب الشمالي .. وضحكة
تجعل الشجر يرقص .. في عينيه بريق أسر .. صوته بعمق البحر
.. لونه بصفاء الذهب .. مع شخصية قوية تفرض وجودها
المهيمن حيثما حلت .. حتى أنا التي كنت احتقر الجمال ..
احترمته .. واحببته .. نعم أحببته دون تخطيط او تعمّد .. تم
لقاؤنا صدفة في إحدى الندوات التي تقيمها الجامعة عن البرمجة
والصيانة .. كنت في سنتي الأخيرة بالكلية وقد ذاع صيتي
كعبقريّة في مجال الكمبيوتر .. تصلني الدعوات من كل مكان
لحضور المؤتمرات التي أقدم فيها أفكارى وبرامجي التي جعلت
كل شركات التقنية تتمنى أن انضم إليها .. ووصلتني عروض
مغرية حتى قبل التخرج .. رفضت كل العروض لأنها كانت تقدم
لجميلة الآلة المتطورة .. وليس جميلة الإنسان الكامن وراء
المظهر المنفر .. بدأت علاقتي بأسامة بعد نقاش حاد عندما
اختلفت وجهات نظرنا في موضوع يختص بالبرمجة وتشبّث كل
من بوجهة نظره .. لقد نسيت أن أخبركم بأنه محلل نظم حاصل
على ماجستير في مجاله من جامعة بونا بالهند .. انشأ شركة مع
مجموعة من أصدقائه وكانت تتقدم بخطوات حثيثة .. بعد ذلك
النقاش التقينا عدة مرات ولعب اهتمامنا المشترك بالكمبيوتر
دوره في تقريب وجهات النظر .. طلب مني الحضور إلى شركته
لإبداء رأيي في بعض المسائل الفنية .. وبعد العمل جلسنا في

مكتبه الصغير وكان حوارا طويلا في شتى أمور الحياة .. اكتشفت بعدها انه يقرأ نفس كتبتي ويسمع نفس أغنياتى .. يحب نفس شعرائى .. أحسست بما يشبه الخدر يتسلل إلى أعماقي .. كان للحديث معه لذة غريبة .. متعة خالصة .. وكانت كلماته تصافح أذني كقطرات من العسل الشهي في فم اعتاد مذاق المرارة .. كل هذا وهو لا هي عن الأثر الذي يحدثه في نفسي..

بمرور الأيام وتعدد اللقاءات غرقت تماما في حب هذا الرجل الحلم ... هذا الحلم المستحيل .. برغم معاملته المتميزة الا انني لم اعطي نفسي الحق في التفكير بانها قد تنم عن شئ غير الاحترام لعملي وعلمي وتفوقي في مجال هو يحبه .. اصبحت لقاءاتنا شبه يومية .. وصار وجودنا الدائم معا مثار تعليقات وغمزات .. فقد صدف يوما وجودي في مكتبة الجامعة وراء كومة عالية من الكتب التي اخفت حجمي الضئيل .. وفي طاولة بعيدة عني جلست فتاتان جميلتان تتحدثان بهمس خافت .. استطاع سمعي الحاد ان يلتقطه بسهولة .. كنت انا واسامة محور الحديث...

"تصدقي انا محتارة في الولد ده .. بسماحته دي كلها ما لقي غير البت المخلقة دي يمشي معاها ؟؟ والموضوع باين عليه كل يوم بيتطور زيادة .. في الاول كان بيجي كل فترة .. هسة يوم والثاني ناطي ليها .. يا ربي العاجبه فيها شنو ؟؟ ظهرها ابو حذبة ولا رجلها العرجاء .. حتى وشها شين ولونها عامل زي الطين .. وكلامها دشن وكله عن الكمبيوتر والرياضيات عاملة فيها اينشتاين"

ردت الاخرى بصوت ناعس " يا عويرة ما هو ده الفلم زاته ..

مش بيقولوا كل راجل عنده مفتاح لقلبه ؟؟ الزولة دي زكية شديد وعرفت من وين تدخل ليه لاني على حسب ما عرفت انو هو زاته بتاع كمبيوتر وعنده شركة .. يعني الاهتمامات المشتركة لعبت دور .. تصدقي احتمال ما يكون شايف منظرها دة زي ما احنا بنشوفه ؟؟ احتمال يكون شايفها بعيون تانية .. من كمبيوتر لكمبيوتر يعني "

يبدو ان مزاح ذات الصوت الناعس اغضب ذات الصوت الحاد فنسيت هدوء المكتبة وعلا صوتها وهي ترد على صديقتها " بلا عيون تانية ولا تالطة .. الزولة دي بكل العيون بتتشاف قبيحة .. لا والمهزلة انو اسمها جميلة ؟؟ والله ما عارفة اهلها ديل لمن سموها الاسم دة كانوا بيذكروا في شنو ؟؟ .. عارفة انا لمن اشوفهم مع بعض باتذكر مسلسل الجميلة والوحش بس هنا الآية معكوسة نسميها الوسيم والقبيحة وبدل فنسنت وكاثرين عندنا جميلة واسامة "

جعلتني الكلمات القاسية انزوي اكثر واكثر وراء كومة الكتب وانا افكر بمرارة ما اصعب ظلم الانسان لاخيه الانسان .. وما اشد قسوة البشر على بعضهم البعض .. قسوة تفوق تلك التي تمارسها الوحوش في الغابات .. اقله هي تقتل بدافع الجوع فقط أي لسبب مشروع .. ولكن البشريقتلون بعضهم بلا اسباب ..

عندما عدت الى المنزل ذلك اليوم اغلقت باب غرفتي وغرقت في حزن عميق .. احسست بالرتاء على نفسي ولعنت ظروفى .. لقد اعادتني همسات المكتبة الى ارض الواقع بعد ان عشت في خيالى لفترة طويلة .. منذ تعرفى باسمامة اصبحت احس وكأني كازيمودو قارع اجراس كنيسة نوتردام الاحدب القبيح الذي احب

ازميرالدا الغجرية الجميلة .. واصبحت هذه القصة مرجعي الذي
اعود اليه كل ليلة لاذكر نفسي بما قد يكون .
تخرجت بامتياز مع مرتبة الشرف الاولى .. انهالت علي عروض
العمل من كل مكان حتى من خارج السودان .. وبرغم المغريات
الكثيرة الا انني فضلت البقاء في السودان .. حيث يوجد اسامة ..
قبلت منصب معيدة في الجامعة حتى يتوفر لدي الوقت لتحضير
رسالة الماجستير ووزعت وقتي بين الجامعة صباحا .. المكتبة
ظهرا .. وشركة اسامة مساء حيث عملت كمستشار براتب مجزي
.. وقتها اعتقدت بان الحياة لا يمكنها ان تكون اجمل مما هي
عليه .. ما زال اسامة يزرع الامل بداخلي مع معاملته المميزة
ولطفه ومراعاته .. وانا ما زلت ازرع حبه سرا مع كل نظرة او
لمسة غير مقصودة اثناء العمل سويا على لوحة المفاتيح تغيرت
نظرتي للحياة .. خلعت منظاري الاسود واعتبرت نفسي في
مرحلة انتقالية كي البس الوردي ..

استمر الحال هكذا حتى جاء اليوم الذي تم فيه تعيين سوزان
المتخرجة حديثا من كمبيوتر مان للعمل كفنية في الشركة التي
اصبحت بفضل وجودي وعلمي المخلص من اكبر الشركات
واتسع نشاطها ليشمل خدمات ما بعد البيع عندما افتتحنا صالة
العرض الضخمة التي تضم احدث ما وصلت اليه التكنولوجيا في
هذا المجال بالطبع كان مكان سوزان في الواجهة بسبب جمالها
الفتان ورشاقتها المبهرة واناقتها المفرطة ولغتها المميزة .. بينما
اكتفيت انا بمكتب صغير في آخر الصالة .. بمجرد رؤيتها قرع
كازيمودو اجراس الخطر في راسي .. لكنني اسكتها وجلست
اراقب توددها المستتر الى اسامة .. كل يوم اقيس درجة صموده
بترمومتر حساس احمله داخلي .. بدأت اشارات الترمومتر

بالانخفاض وانا عاجزة عن التدخل .. لم تكن تحبني .. وتغار من
طريقة اسامة في معاملتي..

تبا لسمعي الحاد .. لماذا لم يكن ناقصا كبقية اجزاء جسدي؟؟
كنت معتادة على الحضور عند الساعة الخامسة مساء .. لكن في
ذلك اليوم المشنوم اتيت مبكرة وجلست في مكتبي الصغير دون
ان التقى احدا .. لم اتعمد الاختباء او عدم اعلان وجودي .. كنت
اعلم ان اسامة سوف ياتي لتفقدني حالما يصل مثل كل يوم ..
سمعت ترافق خطواتهما معا .. خطوات اسامة هادئة وواثقة
وكعب سوزان العالي وهو يضرب سيراميك الارضية بتتابع رتيب
وهما يتجهان الى مكتب اسامة .. لماذا اتوا مبكرين اليوم؟؟ كنت
اود ان انعم ببعض الهدوء والعزلة لترتيب اوراق بحث الماجستير
.. لذلك لزممت مكاني وهممت بفتح حقيبتني المنتفخة بالاوراق
عندما اتاني صوت الضحكة المليئة بالدلال والغنج .. شيئا ما فيها
جمد حواسي فتوقفت يدي في منتصف الطريق واصخت السمع
ليأتيني صوت سوزان متبرماً ملحاً...

"اسامة .. انا ما عارفة انت ليه مصر على وجود جميلة في
الشركة؟؟ .. خلاص انا موجودة وممكن اقوم بكل شغلها .. ولا
انت ما عندك ثقة في كفاءتي؟؟ وبعدين تعال اسالك انت ليه ما
عاوزها تعرف بعلاقتنا؟؟ وليه بتتعامل معاها بالطريقة دي؟؟
البيشوفك بتعاملها كدة يقول بتحبتها .."

وكان رد اسامة ضربة قاسية لكازيمودو .. "سوزان .. قولي
بسم الله .. احبها شنو؟؟ واحبها كيف يعني؟؟ هو البيعرفك انتي
تاني بيقدر يحب بت غيرك؟؟ خلي تكون جميلة؟؟ انا بس مجرد
باشفق عليها عشان حالتها .. دي بت مسكينة ما تشوفي شكلها

القبيح دة لكن جواها انسانة جميلة ومثقفة وفاهمة شديد .. و ..
قاطعته سوزان بصوت ممتلئ غيرة وحقداً " يا اخي ما تنظم لي
فيها قصيدة شعر ؟؟ بلا جميلة بلا مثقفة .. اسمع يا اسامة انا
المخلوقة دي ما باحبها .. يا اخي لمن اشوفها بتجيني غمة في
صدري .. باتشاءم من منظرها وبتذكرني افلام الرعب .. وهي
زاتها بتكرهني شديد وما طايقة وجودي في الشركة .. يبقى
خلاص انت حدد منو فينا التتعد ومنو التمشي "

كان صوت اسامة مستعظفاً وملحاً " يا سوزان كبري عقلك .. انا
محتاج لجميلة عشان الشغل يمشي .. انتي عارفة انو الزولة دي
عبقرية في مجالها .. والشركات المنافسة لي كلها بتتمنى لو بس
تديها ساعة من وقتها .. ما باقدر افطر فيها .. حالياً على الاقل
لغاية ما الشغل يثبت شوية .. واوعدك بعد كدة استغنى عنها "
وكأن اصرار اسامة على وجودي زادها غيرة وعناداً فأتى صوتها
حاداً ومصمماً " خلاص يا اسامة لو انت اخترت تخلي جميلة انا
حاطع .. مش من الشركة بس .. من حياتك كلها .. انا باقول ليك
يا انا يا هي "

بدا صوت اسامة متوتراً وهو يرجوها " يا سوزان ما تختيني في
حثة ضيقة .. البت بتشتغل لي بكل اخلاص .. عاوزاني اقول ليها
شنو ؟؟ فجاة كدة ما عاوزك ؟؟ "

وقبل ان ترد سوزان اتاه ردي " ما في داعي تقول أي شئ يا
اسامة ... وشكرا يا سيدي على شفقتك وعطفك يسعدني ارجعهم
ليك لاني ما محتاجة ليهم .. ومعاهم هدية ليكم الاتنين مرتب
الشهر دة .. اعتبروها هدية عرس مقدمة مني ليكم "
خرجت بكرامة جريحة .. قلب مكسور وظهر محدوب ...

رفضت كل عروض العمل المغرية وقررت التفرغ للجامعة
والتحضير ... وعالمي الخاص .. عندما يأتي الليل ويسود الهدوء
احضر لنفسي كوب شاي بالحليب .. ساندويتش جبن بالطماطم ..
وافتح ابواب عالمي الخاص .. عالم يتكون من نفسي التي ازدادت
عقدها .. ولوحة المفاتيح .. وخيال واسع ..

عالم خلقت فيه عدد لا متناه من الاشكال والاسماء .. عالم انت
الغريب .. عالم انا المتحكمة بسير الامور فيه .. بضغطة زر
اصنع كيانا جديدا .. وبآخري امحوه .. لكل شخص التقيه انا
شخصية جديدة باسم جديد وهيئة مختلفة .. القاسم المشترك
بينهم جميعاً ان كل الاسماء جذابة وموحية .. وكل الهيئات جميلة
وساحرة .. ليس فيها عيب او نقص ..

ولجت كل المنتديات السودانية .. واصبحت نجمة فيها .. في
منتدى الحب .. انا حبيبة .. الفتاة الجميلة المدللة التي تدخل وهي
تتأبط لوحة اشارات فتعطي هذا الضوء الاخضر وتضع آخر في
الاصفر لتضئ الاحمر لمغفل صدق اكاذيبها ووعودها ...

في منتدى العقلاء انا لبابة الفتاة العاقلة المثقفة التي يطلب الكل
وصالها وتتمنع ..

في منتدى الضحك والفرفشة .. انا بسمة الشقية المرححة .. احب
الفرح واكره الحزن ..

واصبحت ضوء تدور حوله الفراشات .. تعلقت بي قلوب الكثيرين
.. وفي كل ليلة تاتيني عشرات رسائل الحب .. ومئات الطلبات
بكشف هويتي او وضع صورتي .. وكنت اجد لكل طلب حجة
مختلفة .. وكان تمنعي يزيد الجميع اصرارا ..

يا لهم من مغفلين يتنفسون السذاجة .. الا يملكون من الفطنة ما
يكفي لادراك ان انت ما هو الا اكدوبة صنعها شخص مثلي خاف
ان يواجه العالم فاختبا وراء الشاشة ولوحة المفاتيح واصبح
تجسيد لكل الاحلام والامنيات؟؟

ام تعمدوا ان يغرقوا في هذا العالم الخيالي واتقنوا لبس الاقنعة
الجميلة الملونة التي تخفي قبحهم وقسوتهم وضياعهم؟؟
لا اشعر بالندم لما افعله بهم .. انهم يستحقون اكثر بكثير نظير ما
فعلوه بي .. كل الذين رفضوني في الواقع احبوني في الخيال ..
كل من كرهه مظهري واشماز من شكلي جعلته يعشق صورتي
الوهمية

سوزان .. التي يبدو ان حبها لاسامة لم يكن متينا بقدر ما رادت
ان تجعله وتصدقه .. فقد اغرقتها في وهم رجل ناضج ثري يبحث
عن زوجة جميلة ومتعلمة تحب السفر ورؤية العالم مع زوج
متفتح ووسيم .. جعلتها تتخلى عن واقع جميل سرقته مني بقسوة
لاجل الحلم القادم من وراء البحار بعد ان اقنعتها بانه في الطريق
وقد اقترب موعد وصوله .. تخلت عن اسامة وما زالت تنتظر
حلمها..

اسامة يعيش قصة حب ملتهبة عوضته عن فقد سوزان .. حبيبته
هيا الفتاة السودانية التي تعيش مع والدها المستشار في قصر
السلطان قابوس .. فتاة كاملة المواصفات .. رسمتها بإتقان كي
تتوافق مع كل تطلعاته ورغباته .. حتى صورتها التي ارسلتها
بعد تمنع دام شهوراً صممتها ببرنامج طورته بنفسه .. صورة
فتاة حلم تحمل عيون ميسم نحاس وشعر ميريام فارس .. قوام
اليسا ودلال نانسي عجرم .. تحفظ شعر نزار قباني وبدر عبد

المحسن .. تقرا لعبد الرحمن منيف وماركيز .. تستمع لمصطفى
سيد احمد وتهيم باغاني سيلين ديون وغريج ديفيد .. ما زال
اسامة بانتظار حضورها في الاجازة كما وعدته والا فسوف
يحضر هو اليها كما هدها .. اتمنى ان ارى وجهه لحظة وصوله
ليجد الخيال بانتظاره ..

لقد اصبح هذا عالمي الذي احفظ دروبه عن ظهر قلب واتجول
فيه بكل ثقة .. لا اسمح لاحد بمعرفة مكانه ولا دخوله .. فانا
امهر من ان اترك اثرا يقتفى او ثغرة لدخول المتطفلين
الفضوليين..

انت .. نعم انت يا من تقرا سطورى الان .. ربما كنت احد
ضحايى السابقين .. او قد تكون ضحيتى القادمة .. لن تعرفني ..
ولن تدرك من اكون حتى اللحظة الاخيرة عندما تصبح واثقا من
انك قد امتلكني .. لحظتها فقط ساذهب عنك واتركك تطارد سراب
وجودي وخيالي الذي صنعه بيدي وأوهامك ..
احذروني .. يا من طرდتموني من عالمكم بدعوى حب الجمال ..
لقد أدخلتكم عالمي أيضا بدعوى حب الجمال .. لقد جعلتم حياتي
مجموعة من العقد المتصلة .. وأنا الآن استخدمكم لاهل عقدي
التي صنعتموها..

احذروني ...

فأنا اقف وراء كل فتاة جميلة تقطن عالم النت وتتقن الضرب على
لوحة المفاتيح .. والقلوب
أحذروني..

فانا اكمّن داخل كل رسالة تأتيك من مجهولة تدعي الوحدة
وترغب في تكوين صداقات..
أحذروني ...

فانا اعيش داخل كل اسم مستعار..
احذروني .. فانا كازيمودو الذي اصبح ازميزالدا...

قصاصة سرية من دفتر يوميات امرأة خائنة

لن أدون في دفتر يومياتي تاريخ ولا ساعة .. فالندم إحساس غريب يبتلع كل التواريخ .. يحتل كل الأوقات .. يسجن الدقائق والثواني ويرهن بقية العمر لحسابه بكل قسوة ...
كانت البداية عادية ولا تعطي أي لمحة عن النهاية القبيحة ...
ومتى كانت البدايات تعطي دلالة النهايات؟؟ لو حدث هذا لما أعطى يوليوس قيصر ظهره لصديقه بروتوس .. ولا تبنى فرعون مصر الطفل الرضيع الذي أتاه على مهد عائم..
ولما عرفتني بدور على زوجها...
التقينا صدفة بعد فراق دام اثنتي عشرة عاماً .. ذهبت لاداء واجب العزاء في إحدى قريبات زوجي الدكتور مصطفى ... كانت تجلس في مواجهتي وترمقني بنظرات طويلة متأملة .. في البدء ظننتها إحدى مريضاتي اللواتي عالجتهم في زمن مضى .. او ربما هي تمنع النظر لتتأكد من انني الدكتورة صفاء المشهورة في مجال طب النساء والولادة .. جمعتنا جلسة الغداء فاذا بها تسالني بصوت ناعم أعاد لي ذكريات قديمة مبهمه .. " صفاء؟؟
انتي ما عرفتيني مش كدة؟؟ انا بدور عبد الفتاح .. كنا مع بعض في مدرسة الخرطوم الثانوية صف خوارزمي " .. يا لها من ذكرى بعيدة .. كانت بدور من اكثر الطالبات هدوءاً في الصف ..

لم تكن بمثل ذكائي ولا شقاوتي لذلك انتمينا لمجوعات مختلفة ..
لكن كثيرا ما جمعنا نشاطات مشتركة في حصص العلوم او
الدروس الخاصة .. كانت معرفتي بها سطحية وتقتصر على تبادل
التحية كلما التقينا .. لم نكن صديقات ...
رددت تحيتها بحرارة .. فرويتها اعادت لي ذكريات اجمل مراحل
العمر .. مرحلة الصداقة المتينة البريئة المنزهة عن الاغراض ..
الأحلام الكبيرة .. مرحلة التفتح والانطلاق .. حميمية العلاقات
التي ربطتني بفتيات ما زالت بعضهن في حياتي بصورة او
باخرى ..

اخترنا ركناً بعيداً هادئاً وجلسنا نحتمي الشاي ونجتر الذكريات "
ما شاء الله عليك يا صفاء من يومك شاطرة شديد وكنتي مصرة
على كلية الطب .. عارفة كل ما اشوفك في الجريدة او التلفزيون
اقول لراجلي دي كانت زميلتي في الثانوي واقعد احكي ليه عنك
وعن شقاوتك انتي وشلتك الكنتوا بتعملوها ايام المدرسة ..
وبصوت ضاحك اخذنا نسترجع تلك الايام ... " تتذكري يا صفاء
لمن انتي وصحباتك تتلموا جنب النافورة في الفسحة وتقعدوا
تغنوا وترقصوا ويجي المدير طائر من مكتبه وشايل عصايته
وبيكورك (يا بنات يا قليلات الادب يا عديمات التربية) وانتو
تجروا تتدسوا منو ورا الشجر؟؟ .. اجبتها بضحكة جعلت العديد
من الاعين المستهجنة تلتفت الينا فنهرتها بلطف " هي يا بدور
انا نسيت اننا في بيت البكا .. اسكتي الناس ديل بعد شوية بيجوا
يطردونا " فواصلت بصوت هامس " ولا تتذكري لمن انتي
وصحباتك قررتوا تمشوا اسبوع العلوم في جامعة الخرطوم

وقمتوا دخلتوا بالنفاج البين بيت المدير والمدرسة ونطيتوا حيطة الشارع؟؟ اظن المرة ديك طلبوا ليكم اولياء امركم .. كتمت ضحكتي وانا اشعر بالبهجة تغمرني لهذه الذكريات الرائعة .. كان صوت بدور الهامس يعيدXXXX ب الساعة الى الوراء بنعومة جعلتني اتذكر كيف كنت انا وصديقاتي نتفق على الهرب من الحصص ومغادرة المدرسة بسرية تامة .. الذهاب الى شارع (15) والوقوف امام واجهة كوافير كيلوباترا والاستوديو المواجه له .. نتفرج على فساتين الزفاف وصور العرائس .. نتسكع امام البقالات بعد ان نشترى الفول السوداني والتسالي من البائعات المصطفات على طول الشارع .. ثم فجأة نقرر الذهاب الى شارع (41) لاكل الايس كريم .. حيرتنا في كيفية الوصول ثم الاتفاق على ركوب (يا عم) .. فرحة اصحاب العربات بركوبنا معهم .. غمزاتنا البرئية عندما نعطي اسماء مزورة لمن يحاول معرفة اسماءنا .. يا لها من ايام..

لم تنتبه بدور لشروود ذهني وعندما عدت اليها كانت ما زالت تضحك وهي تقول " الشئ الوحيد الكان بيشفع ليكم برغم شيطنتكم انكم كلكم كنتوا شاطرات شديد ومن اوائل الفصول .. وكل الناس كانت مستغربة كيف تكونوا شقيات كدة وشاطرات في نفس الوقت؟؟ .. الا باقي شلتك وين لسة متواصلين ولا الحياة فرقتم؟؟ .. اجبتها بابتسامة حقيقية عريضة لم ادق طعمها منذ وقت طويل.. " امينة دخلت هندسة وبعد ما اتخرجت اتزوجت ولد عمها ومشيت معاه السعودية .. سعاد كانت في الاحفاد وبعد ما اتخرجت بقت معيدة فيها .. وما اتزوجت لغاية الان .. محاسن كانت معاي في طب واتخصصت جراحة في لندن وعاشة هناك

اتطلقت وقالت ما عاوزة تتزوج مرة ثانية .. هبة قرت كيمياء
نووية .. هاجرت امريكا اتزوجت هناك امريكي مسلم ووضعتها
كويس خالص .. سمعت تحت تحت انها شغالة مع الحكومة
وبتاخذ ملايين .. كلنا بنتراسل من وقت للتاني .. لكن سعاد معاي
طوالي وبنتراسل اسبوعيا .. اها انتي عملتي شنو؟؟ سالتها وانا
انظر بفضول الى طبقات الشحم الهائلة التي تغطي جسدها .. ربما
لهذا لم اتعرف عليها في البدء فقد كانت ذات قوام نحيل ايام
المدرسة اما الان حتى ملامح وجهها تغيرت .. استقبلت نظراتي
بابتسامة متسامحة وردت على تساؤلي الصامت بهدوء " انا
مجموعي دخلني علوم اغذية جامعة الجزيرة .. ولمن كنت في
سنة ثانية شافني اخو صاحبتني لما مشيت معاها بيتهم في مدني
.. مهندس بترول في قطر وكان جاي اجازة مخصوص يفتش
على عروس .. المهم يا ستي حصل النصيب واتزوجنا في اجازة
نص السنة على اساس اني اقعد في السودان لغاية ما اخلص
دراسة لكن امشي ليه في الاجازات .. الحصل اني جيت من شهر
العسل حامل وكان حمل صعب شديد لانهم كانوا توام وطبعاً ما
قدرت اواصل السنة ديك ولا البعديها ولا البعديها لمن ضاعت
فرصتي في الدراسة بعد ولادة حسن وحسين اصر عز الدين
نكون معاه في قطر كان عارف اني ما حاقدر على الاولاد براي ..
المهم مشيت ودخلت في دوامة الغربة والولادة تاني .. لمن
التيमान تموا سنة حملت تاني واجهضت لانو صحتي كانت ضعيفة
.. بديت استعمل موانع لانو الدكتورة بتاعتي هناك قالت انو
خصوبتي عالية شديد والتنظيم ما حينفع .. ركبت لولب وكان
حيقتلني وعمل لي مشاكل كتيرة لغاية ما طلعتة .. اضطريت ابلع
اقوى نوع حبوب وهو العمل فيني كدة .. زاد وزني بصورة رهيبة
.. اضطريت وقفتها طوالي قمت حملت بمحمد .. ولمن كان عمره

ستة شهور حملت ثاني بالتومات هديل وهيام .. على فكرة عز الدين زوجي توم وامه زاتها تومة عشان كدة المسالة وراثية .. وقتها كنت تعبت شديد من قصة الحمل والولادة ورا بعض وبقينا ما قادرين نعمل كنترول على الموضوع .. اتناقشنا انا وعز وقررنا اربط العرق وخلص كفاية علينا الخمسة عيال الله يدينا الصحة وطولة العمر عشان نربيههم .. بعد كدة قرر عز يرجع السودان نهائي وقال تعب من الغربة وعاوز يبدا ياسس شغل خاص بيه .. وفعلنا جينا قبل سنتين اشترينا لينا بيت كبير في المنشية .. دخلنا العيال المدارس وعز فتح ليه شركة معدات حفر والات ثقيلة .. ودي كل اخباري .. يلا قللي لي عندك كم؟؟ انا من هسة حاجزة بناتك لاولادي .. اكيد ورثوا شطارة امهم وسماحتها"

اصابني سؤالها بطعنة قوية فرفعت راسي ورمقتها بنظرة حادة جعلت الابتسامة تختفي من ملامحها .. ثم استعدت سيطرتي على نفسي .. هذه السيطرة التي احتجت سبع سنوات كاملة كي اكتسبها واصبح منيعة امام هذا السؤال المقتحم المدمر " انا ما عندي عيال يا بدور ... الله ما اراد " بانث علامات الحرج واضحة على وجه بدور الشفاف ثم خاطبتني بذات اللهجة المتعاطفة المواسية التي سئمت منها " ونعم بالله يا صفاء دي حاجة ما بايد البشر .. دي بايد رب العالمين " ثم نهضت تلملم حرجها وهي تعتذر .. " معليش يا صفاء انا لازم امشي لانني اتاخرت شديد على الاولاد خليتهم مع الشغالة وتلاقهم جننوها .. ترددت قليلاً ثم اضافت بخفوت " لو تحبي نتواصل يا صفاء ممكن اديك رقم تلفوني .. انا عارفة انك مشغولة شديد وما عندك وقت

للمجاملات الكثيرة لكن .. وقاطعت كلماتها الخجولة بان اخرجت
كرتي من حقيبتي وناولتها اياه " حاكون سعيدة اتواصل معاك يا
بدور .. دة كرتي فيه الموبايل وتلفون البيت والعيادة اتصلي بي
في أي وقت"

في تلك الليلة وبعد ان اغلقت عيادتي مبكرة عدت الي منزلي
الكبير الفارغ .. احسست بوحدة قاتلة .. مصطفى ما زال في
عيادته التي يرجع منها قبل منتصف الليل بقليل .. جلست في
غرفتي افكر في بدور وما حركته داخلي من ذكريات اثارت
شجوني .. كانت بداخلي حسرة وغيرة لم استطع انكارهما ..
حسرة الاطفال الذين كانوا حلمي وهاجسي وغيرة من بدور التي
حصلت على ما لم احصل عليه من زوجي مصطفى .. مر في
راسي شريط لقائي به .. عندما ربط الحب قلبينا كنت في سنتي
الثالثة وهو في سنته الاخيرة .. عند تخرجي كان يستعد للسفر
الى ادنبرة لبدء تخصصه .. تزوجنا وسافرنا معا اخترت امراض
النساء بينما تخصص مصطفى في جراحة المخ والاعصاب ..
مرت السنوات ما بين المذاكرة واللهو والتجول في دول اوربا
اثناء الاجازات .. عدنا الى السودان ليواجهنا سؤال لم نطرحه
على انفسنا في غمرة انشغالنا " لماذا لم ننجب بعد ؟؟ " وبدأت
رحلة طويلة استمرت ثلاث سنوات اخرى قبل ان يعلن الاطباء
عجزهم امام حالتنا الغريبة .. فكلانا لا نعاني من أي موانع انجاب
.. كل التحاليل والفحوصات في اكبر المستشفيات اكدت اهليتنا
لانجاب الاطفال ولكن ارادة رب العالمين فوق كل اعتبار .. فتقبلنا
قدرنا ولكن هناك شئ ما اختفى .. اصاب الفتور حياتنا..
وتدرجيا اختفت كل الروابط المشتركة واصبح كل منا يتظاهر
بالانشغال في عمله حتى يبرر البرود والتوتر الذي اصاب علاقتنا
.. ومنذ تسعة اشهر تحجج مصطفى بحاجته الى السهر لاجراء

البحوث والدراسات الخاصة بعمله وحرصه على عدم ازعاجي
لينتقل الى غرفة اخرى .. اصبحتنا كالأغراب يجمعنا سقف واحد ..
نلتقي احيانا في مواعيد الوجبات لنخوض في نقاش طبي جاف ..
اما الحياة الخاصة فقد اصبحت شبه معدومة .. وكأن عدم امكانية
الانجاب قد قتلت كل رغباتنا واحاسيسنا .. اصبحت ما يجمعنا علاقة
صداقة اكثر منها زواج...

بالنسبة للعالم الخارجي .. نحن الثنائي الذهبي .. حياتنا مثالية ..
عملنا ناجحاً ومثار حسد حتى مع عدم وجود الاطفال ... ما اكثر
ما تستره الجدران وراءها...
اتاني اتصال بدور بعد ثلاثة ايام من لقاءنا وهي تدعوني لزيارتها
انا وزوجي والتعرف على اسرتها .. اعتذر مصطفى بدواعي
الانشغال فذهبت وحدي .. كان بيتها جميلاً وفسيحاً مفروش بذوق
رفيع .. استقبلتني بدور بالاحضان ومن وراءها خمسة وجوه
تشع بالصحة والشقاوة .. احتضنتهم بلهفة وانا اعطيهم الهدايا
التي احضرتها معي وسط احتجاجات بدور " ليه تعبتي نفسك يا
صفاء والله ما في داعي للعملتيه ده " .. كنت افكر باحساس
امراة محرومة وانا اتاملهم وارد على بدور " تعب شنو يا شيخة
دي حاجة بسيطة شديد " كنت اهم بتقديم اعتذاري لعدم حضور
مصطفى .. وانا ارفع كاس العصير عندما اتاني الصوت العميق
مرحباً .. فرفعت راسي لتصطدم عينايا بوجه حاد القسمات
بوسامة ملحوظة .. قوام ملئ بالرجولة .. اناقة مترفة تتناسب مع
القوام الجميل .. رائحة عطر منعش .. تهللت اسارير بدور وهبت
باحترام وهي تخاطب زوجها " تعال يا عز سلم على الدكتورة

صفاء "مد يده القوية ليغوص كفي الرقيق في دفنها .. وبابتسامة عريضة كشفت عن اسنان بيضاء تتوسطها فلجة صغيرة زادته وسامة ... رحب بي " اهلا يا دكتورة .. نورتينا .. تعرفي بدور ليها ثلاثة يوم ما ليها سيرة غيرك وخلتتا كلنا متشوقين نشوفك " البيت منور بوجودكم يا باشمهندس .. قاطعتنا بدور بمرح " هي انتو شنو دكتورة وباشمهندس ... صفاء وعز وبس " وجلس عز بجانب بدور في مواجهتي وحولهما الصغار الفرحين .. كنت انظر اليهم وافكر بان هذه هي العائلة الحقيقية وليست الكذبة التي اعيشها انا ويصدقها الآخرون بكل غباء.

في زمن قياسي تطورت علاقتي بدور واسرتها .. دعوتهم لزيارتي والاحت على مصطفى تاجيل كل مواعيده لمقابلة عز الدين .. ثم ذهب معي مجبرا لزيارة اخرى قبل ان يعلن انه لا يملك الوقت ولا الرغبة في تكرار الزيارات وطلب مني ان اذهب اليهم او ادعوهم بمفردي .. وهكذا اصبحت ضيفا دائما في بيت بدور .. اهرب من عملي المضني الى بيتها الآمن المشع دفنا كلما سنحت لي الفرصة .. اذهب بلا مواعيد وفي أي وقت لاجد الترحيب .. صحبة الاطفال .. ورفقة عز ..

لقد اعتدنا الجلوس سويا لنناقش مختلف امور الحياة .. كان رجلا مثقفا واسع الاطلاع وملما بكل ما يدور حوله فكنا دوما نجد مواضيع مشتركة وقضايا تهمننا .. نتحاور بهدوء وسلاسة بينما بدور في المطبخ تعد الطعام او تشرف على مذاكرة اطفالها وطلباتهم التي لا تنتهي .. كان هذا محيطها الذي تعيشه بلا تذر وبكل رضا وتجاهل أي شئ يحدث خارجه لذلك اصبحت حواراتي مع عز مربكة لها فاعتادت ان تتسحب معتذرة حالما يبدأ النقاش

وتختفي لتتركني مع عز .. احيانا تاتينا ضحكاتها من المطبخ
عندما ترتفع حرارة النقاش ويتمسك كل منا برايه وهي تطلب من
زوجها ان يترفق بي...

رويدا رويدا لم تعد لقاءات المنزل تكفي لنقاشاتنا الطويلة ..
فاعطينا انفسنا حق التواصل الهاتفي في اوقات مختلفة بحجة
انهاء حوار او بدء آخر جديد .. كان الليل هو الوقت المفضل
عندما انزوي مع وحدتي في غرفتي ويكون عز متفرغا خصوصا
وان بدور اعتادت النوم مبكرة بعد ارهاق النهار المتواصل مع
اطفالهما .. وتدرجيا انحرفت النقاشات الجادة الى التعابير
الناعمة التي تقال همساً وتدغدغ الحواس .. كان اطراءوه لجمالي
وقوامي يجعلني احلق عاليا .. وبدا لي كأن قرونا قد مضت منذ
ان لاحظ مصطفى جمال جسدي الذي لم يزد الا بضعة
كيلوجرامات منذ ان تزوجت .. زيادة اضافت اليه استدارات انثوية
مغرية .. وملامح وجهي الدقيقة زادت السنين جمالا ناضجاً
وهاجاً .. كنت استمع الى تعليقات عز بجوع غريب .. وتلتقطها
اذناي بلهفة من عانى الحرمان .. واتقبلها بسعادة وامتنان ..
ثم تدرج الحديث الى التفاصيل الحميمة في الحياة الزوجية فتفاهم
الجوع .. وانفجر الحرمان .. قللت من زياراتي لمنزل بدور خوفاً
من ان تلمح في عيوني ما اخفيه عنها .. كانت حجتى مقنعة ..
ازداد عدد المترددات لعيادتي الفخمة وكثرت اشغالي ..

اصدقكم القول .. لقد حاولت جاهدة ان لا اسقط في هذا المستنقع
النتن فطلبت من عز ان نتوقف عن الاتصال الليلي الذي يهيج
الشجون ويضعف الارادة .. ودست على كرامتي المهدورة برفض
مصطفى مشاركتي السرير وذهبت اليه ارجوه ان يعود الى غرفتنا

واخبرته بصراحة اني احس بالوحدة والوحشة .. لكنه رفض بكل تهذيب " يا صفاء احنا الاتنين اتعودنا على الغرف المنفصلة .. ما في داعي نكذب على بعض وندعي اننا ممكن نعيش بغير الوضع الحالي .. خلاص فات الاوان احنا هسة قريب سنة من ما انفصلنا ولينا تقريبا اربعة شهور ما عشنا علاقة زوجية .. املي وقتك باي شئ عشان ما تحسي بالوحدة .. آسف يا صفاء انا عارف اني ممكن اكون ظالمك معاي لكن فعلا فات الاوان عشان نصلح أي شئ "

وتركني اعاني لوعة حاجتي لغطاء يبعد عني برد الوحدة .. وحبل اتمسك به حتى لا اسقط في مستقع الخيانة .. في تلك الليلة كنت انا من بادر الاتصال بعز وعشت معه على الهاتف ما رفضه زوجي وحرمني منه بكل صلف .. ساعات وساعات تكلمنا فيها بلا انقطاع الا انقطاع النفس في لحظة يصعب وصفها .. كانت حصيلة تلك الليلة انهيار الحواجز وازدياد احساس الجوع والاحتياج...

سافر مصطفى الى مؤتمر خارج السودان فدعوت بدور واطفالها لقضاء يوم كامل معي في محاولة مني لطمس شكوكها عن اسباب انقطاعي المفاجئ لزيارة بيتها .. كان يوما مليئا بالتوجس وفي نهايته وصلت اعصابي الى حافة الانهيار .. برغم ان بدور كانت غافلة تماما عما يدور بيني وبين زوجها .. الا ان الشعور بالذنب كان يصور لي كل لفظة او نظرة او كلمة منها على انها رسالة سرية تستعديني بها على ضميري النائم .. قمت بايصالهم الى المنزل حتى لا ياتي عز وملتقي جميعا في مكان واحد .. بعدها بعدة ايام دعيتي بدور لقضاء الامسية فذهبت بعد ان طالبت عز بالغياب لاي عذر .. فلبى طلبي مسرورا .. وهكذا بتنا نتفادى

اللقاء المشترك حتى لا تفضحنا النظرات وتشفي بما نحاول
جاهدين ان نكتمه..

قبل التاريخ المحدد لعودة مصطفى بيوم .. دعنتي بدور للغداء في
بيتها فرفضت بحجة رغبتي في الاستعداد لعودة زوجي من السفر
.. كنت يومها قد دعوت عز للغداء .. صرفت الخدم لضمان عدم
تسرب حضور رجل غريب الى البيت .. اعددت الاكل الذي يحبه
عز بنفسي .. لبست اجمل قمصاني .. وتعطرت باغلى عطوري ..
تركت شعري منسدلا على كتفي .. وتركت الباب موارباً ..
اتى قبل الموعد المحدد تسبقه لهفته العارمة لهذا اللقاء الذي
حاول كلانا تجنبه فغلبنا شوقنا بعد ان غذته المكالمات الليلية
الحارة بقوة لم نعد نستطيع صدها .. عندما دخل بخطواته
المصممة تلاشت آخر افكار التعقل التي كنت اهمسها لنفسي قبل
قليل .. اخذني بين ذراعيه وطبع قبلة طويلة عميقة على شفتي
المرتعشتين .. فنسينا كل شئ وغبنا عن العالم .. لا ادري كم مر
من الوقت ثواني؟؟ دقائق؟؟ ساعات؟؟ كنا غارقين في احضان
بعضنا على الكنب الطويلة في الصالة .. رفعت راسي اثر سماعي
لشهقة قوية اتتني كأنها حشرة انسان يحتضر .. في مواجهتي
وقفت بدور بوجه مذهول غارق في الدموع .. تجمدت حركاتي
وانحبس صوتي .. تمنيت الموت في تلك اللحظة ... رفع عز
راسه ليرى سبب عدم تجاوبي مع حركاته المحمومة .. انتفض
بفرع وصرخ " بدور الجابك هنا شنو؟؟" ردت بصوت من
اعتادت الاجابة على اسئلة زوجها الذي تعبه ... " جيت .. جيت
.. جيت اسوق صفاء تتغدى معانا .. كنت .. كنت .. كنت عاوزة
اعلمها ليها مفاجاة .. انا دقيت الباب لكن لقيته مفتوح " يبدو ان

لهفة عز على لقائي انسته اغلاق الباب الذي تركته له مفتوحاً ..
كانت بدور تنقل نظراتها الذاهلة بيننا .. شهقاتها مليئة بالرعب
والالام وعندما نطقت اتت كلماتها متقطعة .. متلعثمة .. " صفاء
؟؟ انتي بتعملي شنو مع عز ؟؟ .. عز ؟؟ انت بتسوي شنو مع
صفاء ؟؟ " بدات تبكي بهستريا .. وفجأة ارتفعت ضحكاتها
المجلجلة .. ثم انخرطت في بكاء مرير سقطت بعده على الارض
بلا حراك...

اصيبت بدور بلوثة عقلية ادخلت على اثرها مصح للامراض
النفسية .. انا اغلقت عيادتي وهربت الى الدنبرة بحجة تحضير
الماجستير والدكتوراه .. اعيش وحيدة ترافقني فقط ذكرى وجه
بدور الباكي وصوت ضحكاتها المتألمة الغريبة قبل دخولها الى
عالم كنت انا من فتح بابه..
لم اعاود الاتصال بعز منذ ان نقل زوجته من ارض بيتي الى
المستشفى ... تركته وحيدا يواجه التساؤلات عن اسباب ما حدث
لزوجه .. ويواجه نظرات اطفاله..
هربت وانا احمل معي اوزار خيانتى...

قصاصة سرية من دفتر يوميات فتاة مهاجرة

الأحد 20 ديسمبر الساعة العاشرة صباحاً...

اليوم أبدأ موسم الإجازات .. كل ما حولي ملئ بالصمت والبياض
.. الثلوج تتساقط بلا انقطاع منذ ثلاثة أيام .. وتراكت تلال منها
أمام النوافذ فحجبت الرؤية ومنعتني من الخروج
لكن فكرة البقاء حبيسة داخل جدران شقتي الضيقة تكاد تصيبني
بالجنون ... الإحساس بالوحدة يحبس انفاسي ويملاني بالخوف

من مجهول لا أستطيع تحديده .. ولكن ماذا افعل؟؟ اقرا؟؟ مللت
القراءة .. هل أعود إلى النوم؟؟ لا أستطيع فقد نمت ما يكفيني
لأسبوع كامل .. هل أعيد تنظيف المنزل الذي أعدته بالأمس؟؟
ربما يكون الحل في مشاهدة فلم جيد مع كوب نسكافيه حار
وساندويتش ..

أدرت جهاز التلفزيون و تفرصت في الكنبه الصغيره أمامه ..
تنقلت بين القنوات ابحث عن شئ يستحق المشاهده .. كل
البرامج مملة .. حديث لا ينتهي عن مشاكل المجتمع الأمريكي
الكريه ... برامج أخرى تفوح منها رائحة العفونه .. أفلام معاده
... قررت أن أتحوّل إلى القمر العربي حتى اسمع لغة افتقدها في
تعاملي اليومي هنا .. يبدو ان العرب لم تعد لديهم هموم او
مشاكل .. فكل القنوات غناء ورقص وبرامج مسابقات وهمية ..
ظللت ابحث عن تلفزيون السودان لكنني لم أجده .. اين ذهب؟؟
لماذا اختفى وانا في اشد الحوجه اليه؟؟ برغم بكائي المستمر
عند مشاهده قناة السودان إلا انها تظل عزاء لي في غربتي
الاختيارية ... قطعة من وطني تمدني بجرعات من الحنين
..مشاهده الوجوه الكالحه المتعبه والشوارع المليئه بالغبار
تهديني ذكريات صارت بعيدة .. كبعد المسافه بين الخرطوم
ونيويورك حيث أقيم منذ ثلاث سنوات .. كلما عصرتني الوحدة
بين فكيها .. ارجع إلى الوراء و أتذكر فرحتي باللوتري التي
تابعت التقديم اليها باصرار عنيد ولمدة خمس سنوات متتالية منذ
ان تخرجت من الجامعة وطوال فترة عملي كمحاميه .. وقتها كان
الهروب من السودان هاجسي الذي يلازمي ليل ونهار .. كنت
اراه سجنأ يقوّض احلامي في الانطلاق الى العالم الاول حيث
الحياة افضل .. وبين انتظار اللوتري والعمل الدؤوب في احد
مكاتب المحاماة المشهوره .. امتلكت حياة اجتماعية ثرية عشتها

حتى العمق مع صديقتي المقربات .. نتبادل الزيارات .. نلهو ..
نتناقش .. حتى مشاكل المحاكم استمتعت بها .. لم يكن ينقص
علي وقتها سوى سخرية صديقتي المتواصلة من رغبتني
بالهجرة..

يا بت انتي مجنونة؟؟ هجرة شنو العاوزة تهاجريها؟؟ وبراي
كمان؟؟ لو حتعرتسي وتمشي مع راجلك معلش .. لكن امريكا
وبراك؟؟ دي صعبة شديد"

كنت ارد عليهم بفوقية غزاها طموحي وايماني بحلمي المشروع
" انتو بنات تفكيركم محدود وما عندكم طموح .. الظاهر عليكم
عاجباكم الدفنة الاحنا فيها دي .. المرتبات الكحيانة الما بتقضيها
لربع الشهر .. ظروف الحياة الصعبة .. الجو الزفت .. حتى جو
السودان يعكر الدم الشتا يجي كم يوم ويمشي وباقي السنة كلها
حر وتراب .. عمركم سمعتوا بكتاحة في امريكا ولا الكهرباء
قطعت ولا الموية نزلت من المواسير طين؟؟ عمركم سمعتوا
بازمة موصلات ولا ملاريا؟؟ يا بنات افهموني .. انا ما مهاجرة
عشان الم قروش وكلام زي دة .. انا عاوزة نوعية حياة معينة ما
بتتوفر في السودان حتى لو عندي قروش .. ما سمعتوا
بحاجة اسمها (كواليتي اوف لايف)؟؟

ودوما تاتيني نفس الردود المحتجة الغاضبة " يا بت هوي ..
والله انتي ما في شئ حيغطس حجرك غير فلسفتك الفارغة دي ..
بلا كواليتي اوف لايف بلا كلام فارغ .. مالها حياتنا؟؟ ما هو
احنا عايشين زي العجب .. وقبلنا اهلنا عاشوا وقبلهم اهلهم .. لا
سمعنا زول مات من الحر ولا اتخنق من التراب .. يا وصال يا
اختي السودان دة مافي زيه .. السودان دة بلد المحنة والناس

الحلوين .. بلد اللمة ... يا بت بلدنا دي سمحة بترابها وحرها
ومطرتها .. بكرة لو مشيتي بلد السجم والرماد ديك بتعرفي
قيمتها وتندمي على انك فارقتها "

كنت أهزأ بالاحتجاجات ولا اوليها أي اهتمام .. وعند وصول
الظرف الابيض المنتفخ على عنواني البريدي اقامت حفل فرح
داخل قلبي المتلهف للرحيل .. وبدأت المرحلة الاصبعب الا وهي
اقناع الاهل بالموافقة على سفري والبقاء هناك وحيدة .. كانت
فترة عصيبة احسست وكانني في قاعة محكمة مع قاضي صعب
المرأس .. وانني ادافع عن قضية عمري .. ذرفت الكثير من
الدموع .. واستخدمت كافة الحجج التي تدعم موقفي .. اخيرا
كسبت القضية .. اكملت الاجراءات وجئت الى هنا ترافقتي آمالي
وطموحاتي ... دعاء ابي وخوف امي...

قبل وصولي اتصل ابي بابن عمتي الذي يقيم هناك منذ ستة عوام
ويحمل الجواز الامريكي بعد ان تزوج بامريكية تكبره بعشرة
اعوام لقاء مبلغ معين يسدده عقب الحصول على الجواز .. لكن
لاسباب غير مفهومة اختار ان يبقى معها وانتج زواجهما طفلين
... اتى لاستقبالي في المطار وهو يحمل فتاة في الثانية من
عمرها وصبي في الخامسة.. يحملان لون البن المحروق بلامح
افريقية صرفة .. رحب بي واخذني الى منزله حيث الزوجة
الغائبة في عملها معظم اليوم .. بينما تفرغ ابن عمتي العزيز
لرعاية المنزل والاهتمام بالاطفال .. عندما سألته عن تفسير لهذا
الوضع المقلوب اجابني بانه حاول الحصول على عمل اكثر من
مرة ليكتشف ان راتبه لا يساوى شيئا امام راتب زوجته الكبير ..
لذلك قرر ان يعكس آية القواماة لتكون زوجته هي المتحكمة بسير
الامور في المنزل..

بعد اسبوع من وصولي...

اتاني ابن عمتي معتذرا بصوت هامس خجل .. وهو يبلغني رغبة زوجته في رحيلي ونظراته تتفادى الالتقاء بعيوني " معلش يا وصال .. انتي اكيد عارفة الناس ديل ما زينا وما بيعرفوا المجاملة كتير .. كل شئ عندهم بحساب .. وانتي شايقة وضعي انا ما شغال والا كنت ساعدتك .. الشئ الوحيد القدرت اعمله ليك اني دبرت ليك سكن مع بنات سودانيات لغاية ما تعرفي راسك من رجلك .. وبكرة الصباح حاوديك ..

في تلك الليلة سمعت جدالهما حول الارباك الذي سببه وحوذي لدى الاطفال عندما لمحوني وانا اصلي .. فسالوا الاب الذي شرح لهم معنى الصلاة .. فسالوا الام عن معنى حركاتي الغريبة التي تختلف عن الصلاة المعروفة لديهم .. وبما ان الام المسيحية لم تخبر اطفالها شيئا عن الاسلام فقد صعب عليها شرح الامر على حقيقته .. فاخبرتهم بان والدهم اخطا فهم حركاتي وانها نوع من الرياضة التي اؤديها للمحافظة على وزني؟؟!! آه نسيت ان اخبركم بان الام القوية بمالها وجوازها وسلطة بلدها تاخذ الاطفال الى الكنيسة كل احد تحت سمع وبصر الاب الذي اعماه لون الجواز الامريكي الداكن ولون الدولار الاخضر عن رؤية ما يدور حوله ..

في الصباح وعندما كان يساعدني في رفع شنطتي الوحيدة الى السيارة خاطبني وهو ينظر الى الارض " وصال عاوز اطلب منك طلب .. لو سمحتي ما تقولي لزول في السودان انو اولادي بيمشوا الكنيسة "

نظرت اليه برثاء " ما تخاف من ناس السودان يا ولد عمتي

خاف من الخلق ناس السودان " بعدها ساد الصمت الثقيل حتى
وصلنا الى مقر سكني الجديد .. كانت الشقة الضيقة في احد
الاحياء القذرة التي يقطنها الزوج .. تتكون من غرفة يتيمة
ملحق بها مطبخ مفتوح وحمام صغير بالكاد يتسع لشخص واحد
نحيل .. شريطة ان تظل يداه مضمومتان الى جانب جسده مخافة
الاصطدام بالحائط لو رفعهما ... احسست بالصدمة وشعرت
بالحسرة على بيتنا الفسيح والحمام الذي يسع عشرة اشخاص
سويّاً .. كنا ثلاث فتيات في نفس العمر تقريباً بفارق شهور قليلة
زيادة او نقصاً ... هن اقدم مني بسنتين وكنتاها جامعات ..
واحدة تعمل بائعة في سوبر ماركت .. والاخرى نادلة في مطعم ..
لحظتها فقط احسست بالخوف مما ينتظرني .. وبرغم انشغالهن
الدائم الا انهن تطوعن بمساعدتي في الانتهاء من اجراءات
التقديم للحصول على الكرت الاخضر .. أصابتنى الدهشة من عدد
السودانيين الموجودين هناك .. شباب من نفس الفئة العمرية
تقريباً .. سألت نفسي من بقى من هذا الجيل في السودان ؟؟ .. !!
بدأت رحلة البحث عن عمل .. كل ما حصلت عليه اعمال وضيعة
وبراتب قليل .. يبدو ان ارباب العمل قد اتفقوا على استغلال من
هم امثالنا لعلمهم بحاجتنا الماسة الى العمل .. اصابني الاحباط
فسألت رفيقات السكن .. " طيب وشهادة الجامعة ؟؟ " واتاني
الرد مريراً " بليها واشربي مويته .. "

بعد شهر من وصولي...

حصلت على عمل في احدى المكتبات .. انحصرت مهمتي في
اعادة الكتب الى اماكنها بعد انتهاء وقت دوام المكتبة .. وتسلمت
اول راتب لي .. 200 دولار اسبوعياً كدت اطيّر فرحاً وبسرعة
اجريت العملية الحسابية المعتادة .. كم قيمة راتبي بالجنيه

السوداني؟؟ وملاني الزهو عندما اكتشفت ان راتب اسبوع هنا
يساوي راتب شهر في السودان .. ونسيت اللحظة انني اعيش هنا
وليس هناك ...

الاثنين 21 ديسمبر الساعة الخامسة صباحاً..

خاصمني النوم منذ امس بعد ان سمعت طلقات رصاص متبادلة
اعقبها صراخ متالم ثم صمت يوحي بما يحمل .. علمتني التجارب
ان اهزم فضولي لمعرفة ما يحدث خارجاً .. فقد يكون الموت هو
ثمن فضولي الغير مرغوب فيه .. احس بوحدة رهيبة .. يكاد
صدري ينطبق .. انتقل صقيع الخارج الى اعماقي .. التصق
لساني بسقف حلقي احتجاجاً على الصمت الذي يلف عالمي منذ
يومين .. يا لها من بلد .. جلست امام جهاز التلفزيون الملىء
بترنيمات اعياد الميلاد وهو ينقل لي صورة بشر يبتسمون بحبور
.. وبدأت ابكي وحدتي ووحشتي .. ابكي غبائي الذي جعلني
اتخلى عن عالمي الدافئ واسعى وراء سراب حياة افضل ..
طموحي الذي حرمني من اهلي وصديقاتي .. هنا لا توجد صداقة
.. الكل يركض وراء عمله في محاولة لجمع اكبر كمية من
الدولارات .. هنا الدولار هو صديقك وشقيقك .. وكل عائلتك ...
هنا قد تصبح جثتك هيكل عظمي قبل ان يكتشف احد موتك ..
زادتنى هذه الافكار كآبة واستسلمت لنحيب عال وانا اتذكر
سخرية صديقاتي في السودان

"وصال يا اختي السودان دة مافي زيه .. السودان دة بلد المحنة
والناس الحلوين .. بلد اللمة ... يا بت بلدنا دي سمحة بترابها
وحرّها ومطرتها .. بكرة لو مشيتي بلد السجم والرماد ديك
بتعرفي قيمتها وتندمي على انك فارقتها .. "
يا الهي انه ندم مرّ وحارق ...

الاربعاء 23 ديسمبر .. الساعة الثانية عشرة ظهراً...

قررت الخروج من المنزل حتى لو غرقت في الثلج .. لم اعد
استطيع التحمل احتاج الى رؤية كائنات حية تتكلم وتمشي
وتضحك او حتى تبكي .. احتاج الى سماع اصوات غير تلك الالية
التي تاتي من التلفزيون الممل .. احتاج الى رفقة بشر...
كم اكره موسم الاجازات في هذا البلد الجاف لانه يعني انقطاع
تواصلي مع العالم الخارجي خصوصا في فصل الشتاء الكئيب
حين يلبس الكون كله حلة بيضاء باردة تغطي كل شئ الشوارع
ممتلئة بشتى اصناف البشر فغداً يوافق الكريسماس .. كنت انظر
بلهفة الى العيون اللامعة والضحكات المتبادلة .. في كل ركن يقف
رجل ممتلئ الجسد مرتديا زي بابانويل بلونه الاحمر المميز ..
يحمل جرساً صغيراً يقرعه بحماس .. امامه سلة نصف ممتلئة
بعطايا المارين .. نساء ورجال يسرون بحبور .. احسست
بالغيرة والحسرة لوحدي وظللت اسير بلا هدف بحثاً عن مكان
يؤوي احساسي المتجمد ويبدد ظلام الوحشة من داخلي .. نظرت
حولي الى المطاعم والمحلات التي تفننت في تزيين واجهاتها
باللونين الاحمر والاخضر .. ليست لي رغبة بالاكل ولا الشراء ..
فتابعت طريقي حتى كلت قدماي
اخيراً وجدت مكاناً مليئاً بالبشر والاصوات .. دخلت وجلست ..
وبدأت الترانيم ... نعم لقد دخلت الكنيسة لاحس بامان الرفقة
ودبيب الحياة...

الخميس 31 ديسمبر الساعة الحادية عشرة مساء...

انها ليلة راس السنة ... كنت قد قررت ان لا اقضي هذه الليلة وحيدة مهما كلفني الامر .. اريد رفقة تعينني على نسيان مرارة الايام التي مضت .. وتعطيني القوة لمواجهة الايام القادمة .. احسست بالحزن والاسف لان أي من السودانيين الذين اعرفهم لم يوجه لي دعوة لقضاء الامسية والاحتفال بهذه الليلة .. البنات كل تريد ان تقضي ليلتها مع زوجها او صديقها .. والرجال ليست لديهم مساحة لمخلوقة متحفظة ترفض دخول البارات او الديسكوهات .. ترفض العلاقات السريعة في المقاعد الخلفية للسيارات .. فتاة ما زالت تملك القدرة على قول كلمة لا .. في نظر الكثيرين انا مخلوقة معقدة وجاهلة بمتطلبات الحياة في امريكا .. بمعنى آخر مخلوقة منبوذة ..

لم يعد يهمني مع من اكون .. فقط ارفض ان ابقى وحيدة هذه الليلة ايضاً لذلك قررت قبول دعوة هارولد زميلي في العمل فقد كان ودوداً ويعاملني باحترام كبير .. اعتدنا ان نحتسي القهوة سويا اثناء وقت الاستراحة من العمل .. واحيانا نتناول الوجبات في المطعم القريب من المكتبة .. وجدت في صداقته المتمهلة المراعية ما كنت افقده .. سوف نذهب الى العشاء في احد المطاعم الصغيرة بعدها الى اكبر ميادين نيويورك حيث وضعت لوحة تحمل ساعة ضخمة لبدء العد التنازلي للعام الجديد ..

الجمعة الاول من يناير الساعة الثانية بعد الظهر...

استيقظت من النوم على صدى انفاس ناعمة تحفر طريقها داخل اذني نظرت برعب الى وجه هارولد النائم بسكون على كتفي ويده

تحيطني بحنان .. كان عقلي مشوشاً ... ماذا حدث ؟؟ كلانا يرتدي
ملابسه كاملة مما اشعرتني بقليل من الراحة .. ولكن كيف وصلنا
الى هنا .. كان هناك عرق في مقدمة راسي ينبض بجنون ..
وتذكرت انني احتسيت ثلاث زجاجات بيرة تحت الحاح هارولد
ورغبتي في اظهار تفتحي وعصريتي لرفيقي حتى لا اخسر
وجوده .. بينما تتصارع الافكار في راسي المتالم فتح هارولد
عينان رماديتان ونظر الى بابتسامة برئية وهو يرى علامات
القلق والانزعاج في ملامحي المتشنجة ... فانت عباراته هامسة
متعاطفة

*صباح الخير يا وصال ... سنة جديدة سعيدة ... كانت امسية
جميلة وقد استمتعت بها الى اقصى حد ...
ما من داع للقلق .. لم يحدث شئ بيننا .. لقد أصبت بالدوار بعد
احتساء البيرة فأحضرتك للمنزل .. طلبت مني البقاء معك لانك
كنتي تشعرين بالوحدة وخفت من البقاء بمفردك .. كل ما حدث
اننا غرقنا في النوم معا .. انا اكنّ لك الاحترام يا وصال ولن افعل
أي شئ بدون اذنك ورغبتك .. لكنني اظند بان علاقتنا سوف
تتغير من الان فصاعدا .. وكلانا مستعد للانتقال للخطوة التالية ..
سوف اعطيك الوقت اللازم لتقرري ما تريدين ... اعتقد بانك
تدركين مدى اعجابي بك ورغبتي في ان تصبحي فتاتي ؟؟ ...
لقد قررت ما اريد .. يبدو ان السقوط في بئر الانفلات لا يحتاج
الى اكثر من ثلاث زجاجات بيرة .. واحساس مرير بالوحدة ..
خوف من الصمت .. ورغبة بالكلام ...

بعد خروج هارولد جلست افكر فيما وصلت اليه .. وما كان يمكن
ان يحدث .. تذكرت تعليقات الفتيات اللاتي كنت انتقد تصرفاتهن
بالعيش مع أصدقائهم دون رباط شرعي .. ومصادقة الامريكان
والاجناس الاخرى .. تذكرت سخرية فاطمة الفتاة السودانية

المتعلمة التي تنحدر من اسرة عريقة وتعيش مع صديقها الزنجي
بلا زواج " انتي لسة جديدة وما عارفة الوضع في البلد دي كيف
.. لمن تقدي كم سنة وما تلقي انسان يتزوجك حتعرفي احنا ليه
عملنا كدة .. يا وصال في البداية كلنا كنا زيك .. لكن لقينا اننا يا
نمشي مع التيار أو نرجع السودان .. المسالة اختيار وكل انسان
بيختار حسب ظروفه "

لقد اخترت..

نهضت بهدوء .. لملمت ثيابي في شنطة صغيرة .. فتحت باب
بيتي وخرجت منه دون ان اغلقه .. عبأت صدري بالهواء البارد
حتى أحسست بحرقة في رئتي ... ركبت سيارة الاجرة واتجهت
الى المطار .. قطعت تذكرة اتجاه واحد الى الخرطوم .. قبل
الإقلاع رميت الكرت الاخضر في اقرب سلة زباله ..
عندما وصلت مطار الخرطوم مزقت الجواز المؤقت بلونه الابيض
.. وطلبت حق اللجوء الى بلدي ...

قصاصة من دفتر يوميات قاتلة

احيانا تصبح الحياة نفسها سجن كبير ملئ بالقيود والقضبان ..
الكل فيها يلعب دور السجين والسجان ... لكنها برغم قسوتها لا
تهينك ابداً للسجن الحقيقي .. هذا العالم الغريب الغامض
اصعب شئ في سجن النساء ان تكون المسجونة صغيرة السن ..
وتزداد الصعوبة اذا اقترن صغر السن مع الجمال ... ويصبح
الوضع مستحيلاً اذا كانت التهمة هي القتل ... نعم انا قاتلة ... لقد
قتلت اقرب الناس لي ... قتلت زوجي ... قتلته في لحظة خوف

وغضب وبلا سابق تصميم .. قتلتته كي احمي من هم اعزّ منه ..
ربما يجب ان اقص عليكم قصتي من البداية حتى تتفهموا دوافعي
وتجدوا لي العذر فيما فعلت فنحن ابناء ماضينا الذي نرثه من
ماضي من سبقونا .. ليصبح حاضرننا في النهاية سلسلة متصلة لا
نستطيع ان نفرق بين اولها وآخرها ...

انها بداية بعيدة .. قبل وجودي بزمان طويل .. سابدا من ابي
الصول مامون .. هذا الرجل المربوع الذي يحمل لون الليل مع
شعر اجعد وانف افطس .. وبرغم شكله البعيد عن الوسامة الا انه
كان محبوبا لظرفه ولطافة حديثه .. خفة دمه واجادته القاء
النكات .. مما جعل كبار الضباط يستدعونه في مكاتبهم عندما
تكون حركة القسم هادئة لسماع آخر الاخبار والطرائف بصفة
عامة كان مقبولا من الجميع الا عندما ياتي الى العمل صباحا
وهو ما زال يحمل آثار الخمر الذي احتساه طيلة ليل امس ..
وبرغم ذلك تقبل الجميع عذره بانها سلوته الوحيدة في وحدته
خصوصا بعد وصوله سن الاربعين بلا زواج بسبب تحمله
مسئولية امه واخواته البنات عقب وفاة ابيه .. بعد زواج البنات
توفيت الام فبقى يساكن وحدته وخمره .. ويبحث عن زوجة
ترضى بعيوبه وفقره .. عندما رأى امي لأول مرة قال لاصدقائه
في القسم " انا حارس البت دي " وضحك الجميع على طرفة
الصول مامون وظنه البعض ما زال يعاني من آثار العرق الذي
احتساه بكميات كبيرة وبدأت آثاره في رائحة انفاسه وطريقة مشيه
وكلامه .. رد عليه عليه احدهم هازئاً " يا مامون انت لسة سكران
ولا شنو؟؟ .. يا راجل اخجل دي شافعة صغيرة ولو كنت عرست
زمان كان بناتك اكبر منها " لم يهتم بتعليقاتهم وكرر جملة
باصرار غريب " انا حارس البت دي " وفعلنا كانت امي طفلة
صغيرة طلعت فجأة من عالمها البرئ لتدخل عالم الكبار المعقد ..

في سن الثامنة عشرة كان كل ما فيها ناعماً وصغيراً .. شعرها
البنّي الفاتح .. جسدها النحيل وبشرتها القمحية .. بائعة الشاي
الجديدة التي اتخذت مكانها تحت شجرة النيم المواجهة للقسم
الجنوبي بالخرطوم .. كانت تحمل كل ملامح العرب الذين نزحوا
من مناطقهم بعد ان ضربها الجفاف وقتل الزرع والضرع والبشر
بما فيهم والدتها التي لم تتحمل مشقة الطريق فماتت هي
ورضيعها فتركوا جثثهم مع العشرات غيرها في الطريق ليدفنوا
في بطون العقبان الرابضة بصبر تنتظر سكون حركة الاجساد
الواهنة حتى تبدأ انقضاضها ... حمل ابوها احدى شقيقتها على
ظهره المحني بينما استندت الاخرى عليها .. اما الولد المراهق
فقد تحامل على نفسه وجر قدميه حتى وصل الجميع الى المعسكر
الذي اقامته الحكومة على عجل ليؤوي الفارين من الموت جوعاً

...

لم يكن الحال في المعسكر افضل بكثير من القرية .. وبعد شهرين
قرر الولد الوحيد ان يتجه الى العاصمة بعد ان سمع بتوفر فرص
العمل ونوعية الحياة هناك .. فتسلل الى احد اللواري التي تحمل
مواد الاغاثة بعد ان ودع اسرته المتعبة ووعدهم بان يعود
لاخذهم حالما يحصل على عمل ... مرّ عام كامل قبل ان يستطيع
العودة ليجد ان الاب الضعيف قد فارق الحياة تبعته الابنة
الصغرى .. ولم يبق من اسرته غير " الرضية " الاخت الكبرى
وأُم كلثوم التي تصغرها بسنتين .. بعد رحلة محفوفة بالخطر
والجوع والتعب وصلوا الى اطراف العاصمة واستقروا في احدى
البيوت العشوائية المبنية من الكرتون وبقايا صفيح وقش ..
وبدأت رحلة البحث عن عمل .. عوض الذي اصبح رجلاً قبل
الايوان عمل بائع ماء في سوق السجانة .. كلثوم ابنة السادسة

عشرة اصبحت خادمة باليومية في بيوت الخرطوم الكسولة ..
بينما بقيت الرضية للاهتمام بالعشة ومحاولة تدبير حياتهم حسب
ما ياتي به اشقاءها في نهاية اليوم .. أنت فكرة عمل الرضية
اثناء نقاش دار بين عوض وحاجة التومة .. اكبر بائعات الشاي
سناً في سوق السجانة .. كانت تشفق على الصغير النحيل الذي
يسير بكتف مهدول من ثقل حمل صفيحة الماء وهو يدور في
ازقة السوق بين البائعين والمشتريين يعرض ماؤه البارد ..
اعتادت ان تمنحه اكواب الشاي الحار مع قطعة خبز وترفض ان
تاخذ مقابل ما تعطيه .. فاصبح مكانها في طرف السوق ملجأ
عوض المفضل كلما احس بالتعب او الجوع .. او حتى الرغبة في
الحديث والحصول على جرعة حنان فقدته بموت امه .. وفي نهاية
احد ايام العمل بينما حاجة التومة تلملم اغراضها ويساعدها
عوض .. سألته عن اهله .. فحكى لها القصة الحزينة .. امه
وشقيقه الرضيع المدفونين في بطون العقبان .. والده العجوز
واخته الصغيرة المدفونين في قبور لا يعرف مكانها .. كلتوم التي
اصبحت خادمة بعد ان كانت سيدة .. الرضية التي اصاب الجوع
روحها قبل جسدها .. بكت المرأة الحنون كأنها تبكي اعز الناس
اليها...

في صبيحة اليوم التالي انت متهلة الوجه واخبرت الصبي بانها
وجدت عملاً للرضية وطلبت منه احضارها في اليوم التالي بعد ان
سألته " الرضية بتعرف تسوي شاي حلو ؟؟ " .. اندهش
لسؤالها واجابها بفخر " يا خالتي التومة الرضية دي البت
الكبيرة .. ومن يوم عمرها عشرة سنين وهي بتعرف تسوي أي
شئ .. تطبخ وتعوس وتنظف البيت .. واقول ليك كلام ايدها

طاعمة واكلها سمح بالحيل "

وهكذا حصلت الرضية على مكان ابنة حجة التومة تحت ظل شجرة النيم المواجهة للقسم الجنوبي " والله يا الرضية بتي حتعرس الشهر الجاي والراجل قال ما عاوزها تشتغل .. انا كنت ناوية امشي هناك لانه الشغل احسن عشان العساكر والمحكمة والناس الجايين القسم .. وكمان بتاعين اللواري البتقيف في ميدان الليق .. الا يا بتي لمن سمعت حكايتكم قلت انتي اولي مني بالمكان " وامتد كرم حاجة التومة ليشمل ادوات شاي جديدة .. وثوب من ثيابها للرضية " جبت ليك كفتيرة ودستة كبابي وصينتين وسكرية وتلاتة ملاعق ومصفاة وكانون .. حتى الفحم جبته ليك .. والتوب دة عشان يكون منظرك كويس قدام الزبائن .. وظلت حاجة التومة تصب نصائحها في اذن الرضية عن الاسلوب الامثل للتعامل مع الزبائن وطريقة كسبهم .. كانت دموع الرضية وعوض اكبر من أي كلمات شكر قد تقال ... خلال فترة وجيزة اصبح شاي الرضية مشهورا ويأتيها الزبائن من كل المنطقة المحيطة بالقسم .. واصبحت حاجة التومة بمثابة الام لهذه الاسرة الحزينة...

بعد شهر من محاولات التقرب ومئات كبابي الشاي قرر الصول مامون ان يطلب الزواج من الرضية .. سالها عن اهلها فدلته على مكان عوض وحاجة التومة في سوق السجانة .. وكعادة الامهات ارسلت حاجة التومة من يستقصى عن الصول مامون وتشابهت الاجابات " والله هو زول كويس و ظريف وما بتاع مشاكل .. بس عيبه الوحيد الشراب .. لكن ما تخافوا .. هو بيسكر هسة لانه قاعد براه والشراب بيونسه لكن لو عرس ولقي واحدة تملا فيه حياته اكيد حيخليه ويتعدل " تمسكت الرضية بهذا الامل .. ان وجودها في حياة مامون سوف يجعله يقلع عن

احتساء الخمر .. تغاضت عن فارق السن الكبير ورقة الحال
الواضحة .. بالنسبة لها الزواج هو الستر .. والرجل هو الامان ..
بالاضافة الى ذلك سوف يسكنها في احد بيوت اشلاق البوليس
المجاور للقسم .. في قلب العاصمة .. حيث ياتي الماء من
المواسير .. والكهرباء بكبسة زر .. كان شرطها الوحيد ان ينتقل
شقيقها للسكنى معها بعد الزواج ..

وافق مامون وتم الزواج .. وهجرت الرضية بيع الشاي بناء على
رغبة زوجها واصبحت ربة منزل تتباهى ببطنها الذي تكور بعد
فترة قليلة من زواجها .. وفي نفس اليوم الذي دخلت فيه عتبة
التاسعة عشرة من العمر اتيت انا الى الدنيا .. طفلة ناعمة هادئة
.. ملات قلب الرضية حنانا وسعادة لكنني لم افلح في جعل الوصول
يقلع عن الشراب

عندما بدأت اتعلم المشي كانت خطواتي الصغيرة تتعثر في
زجاجات الخمر التي تملأ الارض .. اعتادت امي المغلوبة على
امرها جمعها وبيعها الى صاحب الحمار واعطاء ثمنها لكتلوم كي
تدفعه مقابل دروس محو الامية في مدرسة الام القريبة من بيتنا
.. عندما اكملت عامي الخامس اتى عبد الله شقيقي الوحيد ..
كانت فرحة ابي به لا توصف .. فهو بحاجة الى وريث تؤول اليه
امبراطورية الزجاجات التي يملكها ..

اعتاد ابي احضار رفاق الخمر الى المنزل فهم يحتاجون الى مكان
آمن .. وخادمة تعد الطعام اصبحت حلة " الكوارع " ضيف مقيم
في كانون امي .. بينما كانت مهمتي تجهيز الكاسات الصغيرة
ووضع الطاولات دون ان افهم شيئا من الجدل اليومي الذي يدور

بين ابي اللامبالي وامي الغاضبة لجعل منزلها " انداية " حسب
تعبيرها.. استمر هذا الجدل العقيم حتى اتى اليوم الذي لعبت فيه
الخمير براس احد ضيوف ابي فتسلل الى غرفة خالتي كلتوم التي
كانت تعاني من وطأة الملاريا .. وعندما ارتفعت صرخاتها كان
عوض يهم بدخول المنزل بعد يوم عمل شاق .. ركض بسرعة
ليجد رجلا غريبا يحاول ان يسلب اخته شرفها .. فما كان منه الا
ان استل سكينه التي لا تفارق ذراعه ونحر الرجل كما ينحر البعير
.. لقد انقذ عوض شرف اخته وضاع هو .. دخل السجن ونجى
من حكم الاعدام بعد ان تطوع احد المحامين للدفاع عنه عندما
علم سبب ارتكابه للجريمة..

بعدها رفضت امي تماما السماح لابي باحضار اصدقائه الى
المنزل فاصبح يذهب هو اليهم او يذهبوا جميعاً الى احد البيوت
المشهورة في الحلة الجديدة..
عرفت الطريق الى بيت " أم بريمة " بائعة الخمور البلدية عندما
اصبحت في التاسعة من عمري .. تفاقم ادمان ابي فاصبح يغيب
عن المنزل لمدة يومين واحيانا ثلاثة ايام .. فتصطحبني امي
الفرعة على زوجها السكير كي نذهب وناتي به .. كنا نقطع ميدان
الليق المظلم بخطوات خائفة .. ونتوغل في ازقة الحلة الجديدة
الضيقة .. عندما نصل تقف امي بعيدا وتامرني بالذهاب واحضار
ابي من الداخل .. كنت ارتجف خوفا وانا اشق الاجساد المتناثرة
في عناقريب متهدلة الحبال حتى تكاد تصل الى الارض ..
وبعضهم على كراسي ومعظمهم على الارض .. يملا التراب
وجوههم فتصبح مخيفة كأنهم موتى هربوا من القبور .. كانت
رائحة الخمير هي سيدة المكان بلا منازع كنت ادور وانا ابحث عن

ابي بين الوجوه المتشابهة حتى اجد .. واطل فترة طويلة الكزه
بيدي حتى يستيقظ غاضباً فيسبني ويسب امي ثم يستند بثقله على
كتفي الصغير حتى نصل الى الشارع لنجد امي قد عثرت على
عربة كارو متهاكة نضع فيها جسد ابي المترنح ونتجه الى
المنزل ...

كانت فكرة الذهاب الى منزل " أم بريمة " تملؤني رعباً ..
وغياب ابي بضجيجه الصاخب ورائحته الكريهة تشعرني بالراحة
.. لذلك كنت احيانا اتمرد على طلب امي بمرافقتها .. خصوصا
بعدما اصبح بعض السكارى يحاولون التجروء على طفولتي الغضة
.. ومن سيردعهم؟؟ ابي الغائب عن وعيه .. ام امي الخائفة التي
تقف بعيداً وترسلني الى هذا الجحيم؟؟ ... تعلمت العض والرفس
والمراوغة لنفص يد تحاول ان تلمس صدرأ لم ينبت بعد .. او
الامساك بساقي النحيل في محاولة للوصول الى اعلى .. لم اخبر
امي بما يحدث لي في الداخل خوفا عليها .. فهي امرأة هشة
وضعيفة وخائفة .. ولا تملك وسائل الدفاعية .. لم ارفض
الذهاب لاحضار ابي بصورة قاطعة الا عندما بلغت السادسة
عشرة بعد ان افزعني منظر جثة مليئة بالدماء مسجية في قطعة
قماش سمكة وداكنة تمهيداً لنقلها ورميها في الجدول الكبير
الذي يفصل الحلة الجديدة من المنطقة الصناعية .. في منزل " أم
بريمة " غالبا ما تحدث مشاجرات عنيفة تنتهي بموت احدهم
والتخلص من الجثة بسرية تامة .. يومها كان ابي على غير
العادة في وعيه ويجالس شابا يصغره سناً بكثير .. ذو نظرات
حاددة احسستها وكأنها تعريني من ملابسني .. رفض ابي مرافقتي
.. ووعدني الشاب بلهجة لزجة بانه سيعيده سالماً حتى باب البيت

..

منذ ذلك اليوم اصبح حماد ضيفا دائما في بيتنا .. ضيفا وحيدا

ياتي ويجلب معه الخمر .. يجالس ابي فيشربان ويتهامسان كأن
هناك سرا يربطهما .. وبدا لي كأن ابي يخافه على صغر سنه ..
فقد اصر على وجوده برغم حظر امي دخول اصدقاؤه الى منزلنا
بعد حادث كلتوم ودخول عوض السجن .. وبسببه امتدت يد ابي
الى امي وضربها لأول مرة عندما رفضت استقباله .. وامرها
بتجهيز الطعام .. وامرني انا بتقديمه...

بعد شهر من الاكل والشراب والهمس .. اتاني ابي يحمل عرضاً
غير قابل للنقاش او الرفض سوف يزوجني لحماة .. بكيت كثيراً
واستعطفته امي .. حتى كلتوم والصغير عبد الله شاركوني الرفض
.. لكن يبدو ان لا شيء كان يستطيع ايقاف ابي عن نقل ملكيتي الى
صديقه الشاب ذو النظرات الحادة

في السابعة عشرة كنت قد انجبت ايمان .. احيل ابي الى التقاعد
وتفرغ تماماً لاحتساء الخمر التي اصبح ينفق عليها كل معاشه
ويزيد عليه من عائدات بيع الكسرة التي امتهنتها امي حتى
تستطيع الانفاق على اخي الصغير وتعليمه .. كانت تتمنى ان
يصبح رجلاً مختلفاً عن ابيه .. أقمت في بيت ابي حتى ارعى امي
التي اصابها المرض وبدأت قواها تنهار من العمل الشاق
وروحها تنزوي من زوجها السكير وقلبها يتالم على شقيقتها
المسجون الذي اعتدنا زيارته كل اسبوع .. اصبح عبد الله
مسئولتي ارعاه وكانه ولدي وليس اخي كنت احميه بشراسة
وخصوصاً من جارنا الاربعيني الرقيق الذي اعتقدت في البداية ان
نظراته الزائغة تتبع تحركاتي بطريقة مركزة وغريبة اشعرتني
بالخوف .. ثم اكتشفت ان اهتمامه منصباً على ابن الثالثة عشرة
الذي يتبعني كظلي .. كنت اشعر بالقرص لدى رؤيته يدخل بيتنا

في أي وقت وينادي زوجي بصوته الناعم وهو يحمل جانب
جلبابه الايمن تحت ابطه .. رفضت وجوده في بيتنا واخبرت ابي
بشكوكي فلم يهتم .. كان واضحاً ان الخمر قد قتلت كل شئ
بداخله .. رجولته .. نخوته .. ابوته .. طلبت من حماد منعه من
زيارتنا وقابل طلبي بنفس برود ابي .. فما كان مني الا ان
واجهته بنفسي وطردته .. ورد علي بصفاقة غريبة " يا شاطرة
البيت البتطرديني منو دة انا الفاتحه .. انا البجيب اكله وشرابه ..
ولا انتي قايلة ابوك وراجلك هم البياكلوكم ؟؟ لو انا مشيت
صدقيني حتموتوا من الجوع " نشبت اظفري في وجهه الاجرد
الاملس ففر هاربا وهو يتوعدني ... اخرجت عدة امي القديمة
واخذت موقعي امام القسم وبدأت ابيع الشاي .. عبدالله بجانبني
وايمان في فراش صغير على الارض خلفي .. كلتوم ترعى امي
التي اصبحت طريحة الفراش ولا تقوى على الحركة .. حماد وابي
يحتسيان الخمر في المنزل....

عندما اكلت ايمان عامها الاول ماتت امي بحسرتها على شقيقتها
المسجون وابنتها التي ينتظرها مصير لا يقل سودا عن مصيرها
هي .. ابنها الصغير الذي تاهت طفولته بين اب سكير وام مريضة
.. شقيقتها الموجوعة من الحياة بكل ما فيها .. قبل وفاتها
اوصتني " يا بنيتي الدنيا تعبتك شديد .. لكن اصبري .. خلي بالك
من بتك واخوك .. واوعاك تخلي الحصل لعوض وليك يحصل
لايمان وعبد الله .. ديل امانتك .. حافظي عليهم .. ختيهم جوة
عيونك .. دافعي عنهم .. خليهم يعيشوا حياة احسن مني ومنك "
وضعت وصيتها نصب عيني وفي قلبي..
تزوجت خالتي كلتوم من امام المسجد الصغير في وسط الاشلاق

.. وانتقلت مع زوجها للسكنى في المنزل الملحق بالمسجد .. كان زوجها رجلا طيبا ولم يمانع وجود ايمان وعبد الله في بيته معظم الوقت حتى افرغ انا لبيع الشاي .. واستمرت الحياة بمرها الخالي من الحلو .. حتى استيقظت فجر احد الايام على صراخ ابي المتالم وعندما ركضت اليه وجدت عبد الله يقف بذهول امام فراش الصول مامون الملى بالدماء .. وعلى صدى صرخاتي المدوية تجمع كل اشلاق البوليس في حوش بيتنا الصغير ... في المستشفى اخبرنا الطبيب بان كبد ابي قد اهترا من الكحول .. وانه يحتضر...

اضطر حماد للتوقف عن احتساء السم الذي ادمنه طيلة ايام العزاء ليعود اليه بعدها بشراة اكبر .. لم يعد مردودي من الشاي يكفي .. اصر عبد الله على العمل برغم اعتراضى الشديد .. وبراتب بسيط اصبح يقوم بمهام تفوق عمره الصغير في " سك العملة " القريب من بيتنا .. وقت الفطور كان ياتيني راكضاً لاعطيه كوب شاي وسندويتش فول يعود بعدها مسرعا الى عمله .. يوم تسلمه اول راتب كانت فرحته طاغية اتاني به ووضعته في يدي " خليه معاك بس اديني اشترى بنطلون عشان دة بقى قديم ومشروط " يومها بكيت كما لم ابك من قبل .. بكيت طفولته الضائعة .. وشبابى الضائع .. بكيت ابنتى التى لا اراها الا لماماً .. بكيت زوجى السكير العاقل .. بكيت حياتى كلها .. لكن يبدو ان اوان البكاء المستمر لم يحن بعد..

عصر ذلك اليوم رجعت الى البيت وانا اعانى ارهاقا غريبا فطلبت من عبد الله ان ياتي بايمان من بيت كلتوم .. ويبدو ان النوم قد غافلني وسرق انتباهي في انتظار عودتهما .. تنبعت حواسي

فجأة على صوت ارتطام مكتوم .. راودني احساس غير مبرر
بالخطر والخوف .. نهضت مسرعة وخرجت الى الحوش لافاجأ
بمنظر جمد الدماء في عروقي ... عبد الله يحمل ايمان بيد
وبالآخرى يحاول اقتلاع ذراع حماد من حول عنقه .. كان صوت
حماد المثلل بالشراب ياتيني متقطعاً وهو يحاول ادخال يده في
جيب عبد الله " يا ود الكلب .. انت مش صرفت الليلة؟؟ وينو
راتبك؟؟ طلع القروش سريع والا حاطلع روحك .. مش كفاية
مقعدك في بيتي؟؟ يبقى تدفع حق قعادك .. ولو ما عاوز تدفع
امشي شوف ليك مكان تاني يلحك .. هات القروش .. وديتها وين
؟؟ "

افاقني من جمودي صراخ ايمان التي بدات تنزلق من يد عبد الله
.. رايت وجه اخي وهو يتحول الى اللون الازرق وعيناه تجحظ
من شدة ضغط ذراع حماد على عنقه النحيل .. صرخت بلوعة "
حماد فك رقبة الولد حتقتله .. حماد خلي رقبة الولد يا سكران يا
حيران .. بيت شنو البتتكلم عليه .. دة ما بيتك .. دة بيت عبد الله
وبيت ابوه .. فك الولد يا حماد " .. لم يهتم وواصل ضغطه
العنيف .. لم ادر بنفسى الا وانا احمل سكين المطبخ الصديء
وانهال بها طعناً على رقبة حماد من الخلف وعلى ذراعه التي
تعتصر عنق عبد الله .. كانت طعناتي سريعة .. قوية .. متتالية ..
امدني خوفاً على صغاري وذكرى وصية امي بقوة غريبة .. لم
اتوقف الا بعد ان سمعت صوت ارتطام جسد ايمان بالارض وهي
تصرخ بخوف .. تهاوى جسد حماد ووقع تحت اقدامي .. تهاوى
جسد عبد الله على ركبتيه وهو يجاهد لالتقاط الهواء .. وتهاويت
انا لاحتضن صغیرتي واخي ... عندما تدافع الجيران على صوت
الصراخ كان المنظر مخيفاً .. الدماء تغطيني من راسي حتى قدمي
وانا احتضن الصغار بقوة .. جسد حماد ينتفض ببطء .. وبقينا

هكذا حتى اتت الشرطة...
سوف تبدأ محاكمتي غداً .. تطوع كثير من المحامين للدفاع عني
.. ووعدني بعضهم بالبراءة .. ماذا تعتقدون ؟؟ هل استحق
البراءة ؟؟..

يوميات زوجة موظفة

السبت 25 اغسطس .. الساعة الخامسة صباحاً..

تعالى رنين المنبه بصوته المزعج .. تملل زوجي بضيق ورفع
راسه المنتفخ من النوم العميق رمقتي بنظرة كسولة " يا وجدان
يا اخي حرام عليك كل يوم قالقة نومي بمنبهك المزعج دة .. يا
زولة ما تتعودي تصحي من غيره .. نظرت اليه بغیظ وانا انفض
الغطاء عني " انت ما ناوي تقوم تصلي ؟؟"
اتاني صوته المتثائب وهو يعيط تغطية وجهه " بعدين ... بعدين
.. تعالى صحنيني الساعة ستة ونص .. انت طالعة اقفلي الباب
وراكي " وسرعان ما غط في النوم..
قبل دخولي الحمام اتجهت الى المطبخ .. وضعت اناء الشاء على
نار هادئة .. جهزت الاواني في الصينية الكبيرة .. صحن
البسكويت .. كوب الشوب السادة لزوجي العزيز الذي لا يرضى
بديلا له .. كوب المج المطبوعة عليه صورة عمرو دياب لابنتي
المراهقة .. اكواب سبايدر مان وباتمان للصغرين المتنافسين في
افتناء رسوم ابطال افلام الكرتون .. ثم كوب (عثمان حسين)
الخاص بي و الذي يصبح طعم الشاي بدونه غريباً ...

الساعة 5:30 صباحاً...

انتهيت من الاستحمام والصلاة وبدأت الرحلة اليومية بين اسرة الاولاد " اصحي يا سارة .. يلا يا محمد .. قوم يا معتر " لتاتيني الردود اليومية " يا ماما لسة الوقت بدري خليني شوية .. يا ماما ليه تصحيني اول؟؟ صحي معتر وبعدين انا .. يا ماما أنا عيان وما عاوز امشي المدرسة " تستغرق رحلتي ما بين خمس الى عشر دقائق حتى اضمن صحيان الجميع ثم اتجه الى المطبخ .. حليب الاولاد .. شاي بلبن بوردة لي ولسارة بينما يرفضه زوجي بدعوى انه يسبب له الامساك ويصر على الحليب المقتن كما كان يشربه في بيت امه .. بعدها يبدأ عمل السندويتشات ووضعتها داخل الشنط احتجاج سارة اليومي " يا ماما انتي لسة قايلاني شافعة في الابتدائي تعملي لي سندويتشات؟؟ انا كل مرة باتخرج قدام صحباتي لمن اطلعها من الشنطة .. اديني قروش وانا اشتري براي .. كلهم بيشتروا من مؤمن ولذيذ وانا اجيب من البيت؟؟ " في نهاية الامر تدخل السندويتشات داخل حقيبتها حتى لا تموت جوعاً...

الساعة 6:30 صباحاً ...

"قوم يا عبد العزيز الوقت اتاخر" ..

"أنا صاحي يا وجدان ... امشي جهزي لي الشاي والسندويتشات .. وطلعي لي هدم من الدولاب .. الليلة عاوز القميص البيج والبنطلون البني المحروق ومعاهم الكرافة المخططة بالبني"

طيب يا عبد العزيز .. ما عاوزني كمان اجي اغسل ليك اسنانك
واسرح ليك شعرك؟؟ كان ردي بمثابة احتجاج صغير على اعتماد
زوجي الكلي عليّ ...

الساعة 7:00 صباحاً

"وجدان اعلمي حسابك الليلة عندنا ضيوف على الغدا .. في
جماعة من اهلي جوا من البلد امبارح وحيجونني المكتب ونرجع
سوا"

"الليلة؟؟ كيف يعني الليلة يا عبد العزيز؟؟ وليه ما كلمتني من
امبارح عشان اعمل حسابي واجهز اكل؟؟ جاي تكلمني هسة؟؟
انت ما عارف الدنيا آخر شهر والثلاجة فاضية؟؟ "
"يا زولة نسيت اكلمك... شنو كفرت يعني؟؟ اتصرفي .. اعلمي
أي حاجة"

"أي حاجة زي شنو كدي قول لي؟؟ المرة الفاتت برضه جوا من
غير مواعيد ولمن عملت الموجود قلت لي فضحتيني قدام اهلي "
"لكن انتي المرة الفاتت ما بالغتي عدل .. تختي ليهم بس ملاح
وقراصة وسلطة؟؟ "

"ما هو دة الكان موجود في البيت .. هم اهلك ديل ما بتحلى ليهم
الجية الا آخر الشهر؟؟ ... وبعدين بيجوا كدة فجاة من غير احم
ولا دستور ليه؟؟ ما سمعوا باختراع اسمه التلفون؟؟"
"وجدان .. ما تنقي كتير .. هاكمي دي عشرة الف اتصرفي بيها
واعلمي غدا كويس"

"عشرة الف وغدا كويس؟؟ .. انت اكيد بتحلم .. طيب اشتغله
متين الغدا الكويس دة؟؟ ولا كمان اخلي شغلي الليلة واقعد
عشان اهلك قرروا فجاة انهم يجونا وعاوزين غدا كويس؟؟ "
يبدو ان كلامي ازعجه فرمقتي بنظرة غاضبة وخرج .. وركضت

لاستطيع اللحاق بسيارة النقل الجماعي وأنا اكاد انفجر غيظاً ..
جلست في مقعدي المعتاد بجانب صديقتي حنان التي رات ملامحي
الغاضبة " بسم الله .. في شنو مالك مادة بوزك شبرين من صباح
الرحمن ؟؟ متشاكلة مع عبد العزيز ولا شنو ؟؟ "

خرجت كلماتي خافثة حتى لا تسمعنا الآذان الفضولية " تعرفي يا
حنان الراجل دة حيفقع مرارتي ... تخيلي هسة وانا مارقة بيقول
لي اهله جوا من البلد امبارح وجايين يتغدوا معانا الليلة .. وهو
عارف انو البيت فاضي والتموين بتاع الشهر كله انتهى .. رمى
لي عشرة الف وقال لي " اتصرفي واعملي غدا كويس " قلتها
وانا احاكي لهجة زوجي ولكنته الغريبة ..
ارتفعت ضحكة حنان الرنانة المرححة لتزرع ابتسامة في وجهي
العابس ..

"يا زولة ما تشيلي هم .. حنتصرف معاك كلنا عشان تعملي غدا
كويس لنسابتك الظرفين .. وبعدين يا بت الخرطوم انتي من
الاول غلطانة .. ما كنتي تعرسي ليك واحد عنده اهل في البلد
عشان مرارتك ما تنفقع"

الساعة 10:00 صباحاً...

تطوعت حنان لمرافقتي في رحلة التسوق الاجبارية .. وجدنا
باعة يفترشون الارض خلف ديوان الضرائب حيث نعمل .. وفي
جولة سريعة تم شراء الخضروات بما اعطانيه زوجي الكريم
واضطررت لشراء اللحوم من مالي الخاص ..

الساعة 11:15 صباحاً...

جندت كل زميلاتي في عمل الغداء الموعد تعاونت امل وتهاني

في تنظيف الملوخية .. ابتهاج ومنى لتنظيف خضار المحشي ..
بينما افسح لي عم عثمان عامل البوفيه مكانا في البوتجاز
الصغير لظهو شوربة الملوخية .. وانقضى يوم العمل الحكومي
في اعداد طعام اهل زوجي ... تم وضع الاوراق داخل الادراج ..
اغلقنا باب المكتب باحكام .. وفي حال وصول احد المراجعين كنا
نعتذر بلباقة لا نملكها في الايام العادية " معليش الكمبيوترات
عطلانة .. تعالوا بكرة... "

الساعة 12:30 ظهراً ...

انتهت فتحية من حشو خضار المحشي بينما اخذت منى ما تبقى
من مخلفاته واعدت منها سلطة ملات رائحتها المكتب الصغير ..
انت ابتهاج تركض بانفاس لاهثة " هي المدير جاي على هنا ..
لموا الحاجات دي سريع لا يطين عيشتنا " وفي لحظات اختفت
كل ادلة الجريمة وظهرت الاوراق من الادراج وتظاهرننا بالانهماك
في العمل برغم رائحة السلطة التي تملأ المكان .. ومر الامر
بسلام....

الساعة 1:30 ظهراً...

طاولة المكتب امامي مليئة بمختلف انواع واحجام علب البلاستيك
المحكة الاغلاق .. كنت اراجع بحرص " دة المحشي ودي السلطة
.. دي الشوربة ودي الملوخية .. يا بنات عليكم الله واحدة منك
تجيب صينية قديمة من بيتهم وانا حاجيب مفرمة ملوخية عشان
تاني نفرمها هنا ونخلص ... تاني ناقص شنو يا ربي؟؟ قولوا لي
سريع انا لازم امشي هسة عشان الحق اجهز باقي الاكل .. حنونة
انتى وقعي لي على كشف الانصراف وما تخلي زول يلاحظ ما

عاوزين مشاكل .. منينة انتي نزلي معاي الحاجات دي من الباب
الورا وركبيني التاكسي .. شكرا يا شابات يا ظريفات .. نردها
ليكم لمن تترنقوا زيي كدة..."

الساعة 2:30 بعد الظهر ...

بعد مجهود مضني اصبحت الاكل شبه جاهز .. اتى الصبيان من
المدرسة في حالة جوع شديد كما هو معتاد " ماما احنا جعانيين
وعاوزين ناكل .. "

"استنوا شوية يا اولاد اهل ابوكم جايبين وحتتغدى كلنا مع بعض
"

"لا يا ماما احنا جعانيين وما بنقدر نستنى ادينا هسة "

وتحت الالحاح المتواصل كان لهم ما ارادوا ..

"تعالى يا سارة ساعدينى شوية..."

"يا ماما حرام عليك انا جاية من المدرسة هلكانة وما باقدر

عاوزة ارتاح شوية عشان اقوم اذاكر..."

دخل عبد العزيز مبتهجاً .. فهو يكون دوما هكذا عند استقبال اهله

.. عكس حالته عند استقبال اهلي .. " وجدان احنا جينا .. الغدا

جاهز؟؟

"ربع ساعة ويكون كله جاهز .. جبت معاك العيش؟؟ ..

"العيش؟؟ هو انتي ما جبتيه معاكى؟؟ والله بالغتي .. يعني

هسة انا اطلع تاني امشي الفرن؟؟ .. خرج اثر نظرة نارية

حدجته بها وحتى يتفادى الجدل امام اهله ..

انتهى الغداء .. تبعه الشاي والقهوة..."

الساعة 4:00 عصراً...

امتلا كل فراغ في المطبخ بجبل من الاواني المتسخة .. نظرت اليها بتعب وذهبت الى غرفة الحبيبة سارة لاجدها هائمة في سريرها وهي تقرا احدى روايات عبير بينما يتعالى صوت وائل كفوري من جهاز التسجيل " باحبك انا كثير .. يا حبيبي ظلّ عليّ ووعيني بكير "

"سارة تعالي وساعديني في غسيل العدة انا تعبت شديد "

نظرت الي بفرع .. " ماما عاوزاني انا اغسل العدة ؟؟ .. مستحيل ضوافري بتتكسر .. انا ما صدقت انها طولت .. وبعدين يا ماما ما في زول في البلد دي ما عنده خدامة غيركم .. انتي وبابا الاتنين شغالين ليه ما تجيبوا ليكم خدامة ؟؟ ... "

عشان يا اميرة زمانك قروش الخدامة دي انتو اولى بيها .. قومي يا بت قبل ما اوصلك واشطط ليك الكتاب الفي ايدك دة واكسر الشرايط الفارغة البتسمعي فيها .. "

من نظراتي ولهجتي علمت الابنة المدللة انني قد وصلت الى منطقة الخطر فنهضت بسرعة وهي تتبرم واتجهت الى المطبخ

...

الساعة 5:00 مساء...

خرج الضيوف .. اتجه عبد العزيز الى السرير وغرق في النوم مباشرة .. واتجهت انا الى حقائب محمد ومعتز لبدء المذاكرة وحل الواجبات...

الساعة 7:00 مساء

انتهت المذاكرة .. استيقظ عبد العزيز مطالبا بشاي المغرب وجلس امام التلفزيون لحضور مباراة كرة قدم منقولة من دولة لا

تهمنا ولا نستطيع وصول مستواها في اللعب ..

الساعة 8:00 مساء...

خرجت لاداء واجب الغزاء لدى جارة بعيدة .. وتهنئة اخرى
بانجاب مولود .. ثم اتجهت لرؤية امي المريضة .. وفي طريق
العودة مررت على محل صيانة الثلاجات وطلبت من العامل
الحضور غدا للكشف على الثلاجة التي تعمل بنصف كفاءتها
العادية .. ربما تعاني من الفراغ الذي يملأها وتشكو صمت الباب
المغلق...

الساعة 11:30 مساء...

لملت باقي عشاء الصغار ... قمت بكي ملابس المدرسة ليوم
غداً ... وضعت الملابس المتسخة داخل الغسالة .. رتبت البيت
ومخلفات فوضى الزوار .. ثم جررت قدمي الى غرفتي وانا بالكاد
استطيع السير ... هناك وجدت عبد العزيز مضجعا على السرير
وفي عينيه نظرة اعرفها جيداً ... وبصوت ناعم خاطبني بصيغة
الدلع التي لا يجيد استخدامها الا في حالات الطوارئ " شنو يا
وجيدة اتاخرتي برة كدة مالك؟؟ انا من قبيل منتظرك "
لم تكن لي طاقة حتى للرد .. وكانت علامات التعب مرتسمة
بوضوح على وجهي الشاحب الخالي من الزينة .. لكن زوجي
العزیز لم يهتم بكل ما يراه .. ففي وقت المطالبة بالحقوق تختفي
قوة الملاحظة ويحل محلها التجاهل المصمم على نيلها مهما كان
الوضع ..

"عبد العزيز انا تعبانة شديد وما عندي مزاج .. "
"يعني يا وجدان طول اليوم بتشتغلي لكل الناس ولمن يجي

دوري تبقي تعبانة ؟؟ "

وكان يهم بتشغيل اسطوانة لعنة الملائكة .. وحرصه على الالتزام .. واهمية تقدير رغبته بعد مرور خمسة عشر عاما من الزواج

... و ... و ... و ...

واختصرت الامر باعطاؤه ما يريد دون ان احصل انا على ما اريد ودون ان يهتم هو بمعرفة اذا ما كنت قد حصلت على ما اريد انا وليس ما يريد هو .. وبعدها اعطاني ظهره دون كلمة واحدة وغرق في نوم عميق وعلا شخيرته ..

جررت نفسي مرة اخرى الى الحمام وخرجت وانا اكاد اقع من فرط التعب لدرجة لم اقوى على تجفيف شعري المبلل .. رفعت الغطاء وقبل ان اغرق في النوم وضعت المنبه على الساعة الخامسة صباحاً ...

كنت افكر بان غداً يوم آخر...

غرقت في النوم وانا احلم بثور عيونه مغطاة ويدور في ساقية بلا انقطاع...

صحت على صوت المنبه المزعج ...
انها الخامسة صباحاً...

خاتمة القصصات...

هل استمتعتم معي بالتلصص على هذه اليوميات ؟؟ ..

كنت احاول كتابة قصاصة اخيرة من دفتر مجهول لونه احمر وجدته في مكان ما .. وعندما فتحته كان فارغا الا من صفحتين

.. الاولى والاخيرة

هل علمت صاحبتة اني قد اتسلل الى صفحاته السرية وانشر
بعضاً منها؟؟ ربما ... لذلك تركت لي الفراغ وحرية التكهن بما
طمس عن عمد... لذلك كتبت فقط في صفحتين ...
في صفحته الاولى كتبت ..

على دفتر ساجمع كل تاريخي ...
على دفتر سارضع كل فاصلة حليب الكلمة الاشقر ..
ساكتب لا يهم لمن .. ساكتب هذه الاسطر ...
فحسبي ان ابوح هنا .. لوجه البوح لا اكثر ..
حروف لا مبالية ابعثرها على دفتر ..
بلا أمل بان تبقى .. بلا أمل بان تنشر ...
لعل الريح تحملها .. فتزرع في تنقلها ..
هنا مرجاً من الزعتر .. هنا كرمأ هنا بيدر ...
هنا شمساً وصيفاً رائعاً أخضر ..
حروف سوف افرطها كقلب الخوخة الاحمر ...
لكل سجيئة تحيا .. معي في سجني الاكبر ..
حروف سوف اغرزها .. بلحم حياتنا خنجر ...
اذن هي من عاشقات شعر نزار ..

وقلّبت الصفحات عليّ احظي ببعض الاسرار المدفونة فكانت
بيضاء من غير سوء ..

حتى وصلت الى الصفحة الاخيرة فوجدتها كتبت ...
وداعاً ايها الدفتر .. وداعاً يا صديق العمر يا مصباحي الاخضر

...

ويا صدراً بكيت عليه اعواماً ولم يضجر ..
ويا رفضي .. ويا سخطي .. يا رعدي ويا برقي ...

ويا الما تحول في يدي خنجر ...
ترككتك في امان الله يا جرحي الذي ازهر ...
فان سرقوك من درجي وفضوا ختمك الاحمر ...
فلن يجدوا سوى امراة .. مبعثرة على دفتر ...
اغلقت الدفتر الاحمر لمجهولة لم استطع قراءتها ...

و كل ما عرفته عنها انها مثلي تعشق شعر نزار قباني .. هل هي
انا ام اخرى تشبهني ..
كل الاجابات واردة..

لم أفهم
أنا أم أخرى
كل الأجابات
واردة..